العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الفكر والابداع

الناشر:
العتبة العباسية المقدسة /دار الرسول الاعظم ﷺ

المتابعة و التنفيذ :
رضوان عبد الهادي السلامي

الادارة االفنية :
م.م.ياسين خضير الجنابي

التحرير الطباعي
حسن علي المرسومي

التدقيق اللغوي:
أ.د.شعلان عبدعلي سلطان
م.د. أحمد حسن الغانمي

التصميم :
حسين عقيل ابو غريب
علي عبد الحليم المظفر

دليل ندوات دار الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله

في البدء

هذه إضمامة من الندوات العلمية في السيرة النبوية العطرة أقامتها دار الرسول الأعظم ﷺ لتسليط الضوء على مجموعة من الحيثيات المتعلقة بتدوين السيرة، وكان الهدف منها مراجعة السيرة النبوية المباركة في هدي القرآن الكريم فضلاً عن توفير المناخ العلمي الثقافي والفكري للأكاديميين والمهتمين بالسيرة النبوية، كل ذلك في سبيل الذب عن شخصية النبي الأكرم ﷺ وما يمكن استغلاله في المدونات التاريخية السيرية بما لا ينسجم وشخصيته ﷺ في القرآن إذ يقول تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم).

وقد تعاقب على هذه الندوات في ملتقى السيرة النبوية الذي تعقده الدار دورياً، مجموعة من الأكاديميين وأساتذة الحوزة العلمية الذين اختاروا مجموعة من العنوانات الحيوية التي أثارت سلسلة من المناقشات العلمية أثرت البحث العلمي في حيثيات مهمة من حياة النبي صلى الله عليه وآله.

ونحن إذ نقدم هذا القطف الثاني من ملتقى السيرة نسأل الله تعالى أن نكون قد وفقنا في تقديم ما ينفع القارئ الكريم في السيرة المباركة والحمد لله رب العالمين.

الندوة الأولى

- قراءة في السيرة النبوية
  بين التأريخ والعقيدة
  نصوص مختارة

- الدكتور الشيخ عماد الكاظمي

- على قاعة مركز العميد الدولي
  للبحوث والدراسات

- يوم الجمعة الموافق 2019/3/8م

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على النبي المصطفى الأمين، وعلى آله الهداة المعصومين.

إنَّ موضوع السيرة من الموضوعات التأريخية المهمة جدًّا؛ لأنَّه يوثِّق جزءًا مهمًّا من سيرة الرسالة الإسلامية، وما يتعلق بالرسالة والرسول محمد ﷺ، وما حدث منذ ولادته لحين وفاته، وقد كُتبت في ذلك مؤلفات متعددة، واشتهرت في الآفاق منذ قرون متعددة، وسيرة النبي تعني سيرة المُشَرِّع، الواسطة بين الخالق والمخلوق، وسيرة هذه الشخصيات لها خصوصية تامة ليست كسيرة غيرها، وبعد الاطلاع على كثير من تلك الموضوعات المتعلقة بسيرة النبي نرى أنَّ هذه السيرة قد كانت في موارد متعددة مجانبة للعقيدة الإسلامية في النبوة والنبي، فحاولت في هذه السطور المتواضعة أنْ أسلط الضوء بإيجاز على بعض الإشكاليات الواردة في السيرة عندما تعرض على العقيدة، وقد ذكرتُ نصوصًا معينة لقراءتها قراءة تأملية على وفق التأريخ والعقيدة، اخترت تلك النصوص من كتاب السيرة النبوية لابن هشام جمال الدين أبي محمد عبد الملك بن هشام الحميري المعارفي ت٢١٣هـ أو ٢١٨هـ، وليس القصد من ذلك دراسة هذا الكتاب بعينه أو نقده بل اخترت منه أمثلة مختارة تنطبق على كُلِّ مؤلفات السيرة التي كتبت عن المعصوم ﷺ، سواء أكان نبيًّا أم إمامًا.

وقبل الحديث عن تلك النصوص التأريخية أحاول بإيجاز بيان مقدمتين، تتعلق الأولى بأهمية اختيار العنوان، والأخرى ببيان عقيدتنا بالنبي المشرِّع ﷺ، ثم بيان ما يتعلق بتلك النصوص التي اخترناها ؛ لتكون مادة القراءة ما

بين السيرة والعقيدة للباحثين وطلبة العلم في التأريخ الإسلامي بصورة عامة، وطلبة العلوم الشرعية بصورة خاصة، من خلال التأمل والمناقشة ومحاكمة النصوص على وفق العقيدة الإسلامية، وأحاول في هذه القراءة تأكيد منهج التثبت في روايات السيرة النبوية بصورة عامة، وما ورد فيها من مرويات لا يمكن قبولها، نعم قد يعترض عليَّ بعض الباحثين بأن اعتماد مثل هذا المنهج سيؤدي إلى التشكيك بأصل السيرة النبوية المكتوبة، أو نفي كثير من السيرة الواردة إلينا من تلك المصادر! أقول إنِّي في هذه الصفحات وبهذا المنهج لا أريد أنْ أنفي نصوص السيرة من أصلها بقدر ما أريد التثبت في عرض تلك النصوص على الباحثين والمطالعين للسيرة إذ إنَّ منها ما يخالف العقيدة المقدسة.

أرجو أنْ أكون موفَّقًا في ذلك، فلعلنا نحافظ على ذلك التراث العظيم لتأريخنا الإسلامي مما يعتريه من شكوك وتحريف، وأعتذر عن التقصير والسهو في هذه القراءة الخاصة بالباحث.

- المقدمة الأولى: مناقشة العنوان.

إنَّ السؤال الذي ينبغي أنْ أطرحه في البحث هو لماذا ندرس السيرة على وفق العقيدة والسيرة هي مسألة تأريخية؟ أي لماذا بين التأريخ والعقيدة؟

إنَّ أهمية ذلك تكمن في أنَّ السيرة النبوية هي سيرة المشرِّع للعقيدة الإسلامية وهو النبي محمد ﷺ، وشريعته هي الشريعة الخاتمة للنبوات.

ومما لا بُدَّ من بيانه أنَّ التأريخ هو حدثٌ معيَّنٌ وقعَ في زمانٍ معيَّنٍ، ومكانٍ معيَّنٍ، والذي يصنع الحدث في الغالب هو الإنسان.

والإنسان على وفق التقسيم الديني الأولي هو:

١- الأنبياء وأوصياؤهم، الذين لهم رسالة

سماوية يجب عليهم أنْ يؤدوها.

٢- عامة الناس من ملوك وحكام وأعلام وغيرهم.

إذًا فالإنسان هو الذي يصنع التأريخ والحضارة بصورة عامة، والأنبياء كذلك، ولكن مع صفة الاتباع والطاعة والاقتداء به والأسوة.

وهذا ما نراه جليًّا في نصوص القرآن الكريم، إذ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا أَطِيعُوْا اللهَ وَأَطِيعُوْا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [١]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيْ رَسُوْلِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوْ اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [٢]، أما غيرهم من القسم الثاني فلا وجوب لطاعتهم؛ لذلك نحن ندرس سيرة مَنْ هو في مسار التشريع.

- المقدمة الثانية: عقيدتنا في النبي ﷺ وما يصدر عنه بصورة عامة

إنَّ كُلَّ ما يصدر منه فهو سُنَّةٌ يجب اتباعها، فالسُّنَّةُ هي قول المعصوم، وفعله، وتقريره، كما هو معروف في مباحث أصول الفقه، هذا من جانب. [٣]

ومن جانب آخر إنَّ النبيَّ معصومٌ في جميع سلوكه، تبليغًا وغيره، قبل البعثة وبعدها، من الصغائر والكبائر، عمدًا أو سهوًا، كما هو مفصل في علم العقيدة. [٤]

فمن خلال ما تقدم نقول: إنَّ مَنْ يكتب عن سيرة النبي ﷺ، فإنَّما يكتب عن سيرة النبي المعصوم، المُشَرِّع، الخاتم للأنبياء، وعليه أنْ يكون على حذرٍ تامٍّ فيما يذكره عنه؛ لأنَّ ما يصدر عنه مطلقًا هو تشريع.

قراءات مختارة في سيرة النبي ﷺ.

إنَّ النصوص المختارة التي سوف نقرأها قراءة موجزة في هذه الصفحات من البحث، وسنعلق عليها من حيث مخالفتها للعقيدة، أو تمن حيث احتياجها إلى

تأمُّلٍ ومراجعة هي :

١- رضاع النبي ﷺ.

٢- شق صدر النبي ﷺ.

٣- نزول الوحي على النبي ﷺ.

٤- النبي ﷺ وأبو بكر في الهجرة.

٥- النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام.

وسأحاول أنْ أذكر بعض تلك النصوص في السيرة للموضوعات المتقدمة في موارد خمسة، مع بيان وجهة نظر العقيدة تجاهها، وما يتعلق بذلك.

- المورد الأول: رضاع النبي ﷺ.

إنَّ موضوع رضاع النبي ﷺ عند مرضعته ''حليمة السعدية'' من الموضوعات المشهورة تأريخيًّا في كتب السيرة، ومما يجدر البحث فيه هو هل مرضعته كانت على الحنيفية التوحيدية؟ أو كانت على غير ذلك يعني كافرة أو مشركة؟ فعلى الأول فإننا نحتاج إلى نص تأريخي يبيِّن ذلك، وعلى الثاني فهل يُعقل أن خاتم الأنبياء والمرسلين يبدأ طعامه بشراب لبن كافرة؟ وينبت لحمه على ذلك؟! وتعاليم الشريعة المقدسة قد اعتنت كثيرًا بالرضاع وما يتعلق به، وهذا واضح من خلال الروايات الشريفة، والأحكام الشرعية المتعلقة بها، وهذا ما أبينه فيما يأتي:

* الأحاديث الواردة في الرضاعة وآدابه:

لقد وردت أحاديث متعددة في ذلك ضمن أحاديث النبي والأئمة عليهم السلام، أذكر من ذلك حديثين للإيجاز.

- قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((انْظُرُوْا مَنْ يُرْضِعُ

أَوْلَادَكُمْ فَإِنَّ الْوُلْدَ يَشُبُّ عَلَيْهِ)). [٥]

- وقال ﷺ: ((تَخَيَّرُوْا لِلرِّضَاعِ كَمَا تَخَيَّرُوْنَ لِلنِّكَاحِ، فَإِنَّ الرِّضَاعَ يُغَيِّرُ الطِّبَاعَ)). [٦]

فهذان الحديثان وغيرهما من الأحاديث تبيِّن الصفات التي حثت الشريعة على توافرها في المرضعة؛ لأهمية هذه المرحلة للإنسان.

* الأحكام الشرعية في الرضاع.

ذكر الفقهاء في مؤلفاتهم الفقهية الأحكام المتعلقة بالرضاع من حيث الأحكام التكليفية: الوجوب، والحرمة، والاستحباب، والكراهة، والإباحة، ونذكر من ذلك بعض تلك الأحكام الواردة، ومنها:

- وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُخْتَارَ لِلرَّضَاعِ: الْعَاقِلَةَ، الْمُسْلِمَةَ، الْعَفِيفَةَ، الْوَضِيْئَةَ وَلَا تُسْتَرْضَعُ الْكَافِرَةُ، وَمَعَ الاضْطِرَارِ تُسْتَرْضَعُ الذِّمِّيَّةُ، وَيَمْنَعُهَا مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ، وَأَكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ. [٧]

وفي هذا الحكم بيان جلي في الحث على هذه الصفات المتقدمة التي ينبغي توافرها في المُرضع، والتأمل فيها يؤكد أهمية الرضاع في التشريع الإسلامية.

- وَيُكْرَهُ أَنْ يُسَلَّمَ إِلَيْهَا [الكافرة] الْوَلَدُ لِتَحْمِلَهُ إِلَى مَنْزِلِهَا. وَتَتَأَكَّدُ الْكَرَاهِيَةُ فِي ارْتِضَاعِ الْمَجُوسِيَّةِ، وَيُكْرَهُ أَنْ يُسْتَرْضَعَ مِنْ وِلَادَتِهَا عَنْ زِنًا وَرُوِيَ أَنَّهُ إِنْ أَحَلَّهَا [مَوْلَاهَا] فِعْلَهَا، طَابَ لَبَنُهَا وَزَالَتْ الْكَرَاهِيَةُ وَهُوَ شَاذٌّ. [٨]

والكراهة الواردة تؤكد أهمية الاعتناء في اختيار المُرضع، بل معاهدته ومتابعته مع وجود المُرضع له؛ لما في ذلك من أثر في تربية الإنسان.

وقد ذكر ''ابن هشام'' في سيرته عنوانات

متعددة حول رضاع النبي ﷺ، وما جرى عليه في بني سعد، أذكر من ذلك عنوانًا واحدًا مثالاً على ذلك، ليتم مناقشته.

* عنوان / إعلام جده بولادته وما فعله به.

((قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا وَضَعَتْهُ أُمُّهُ ﷺ أَرْسَلَتْ إِلَى جَدِّه عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: أَنَّهُ قَدْ وُلِدَ لَكَ غُلَامٌ، فَأْتِهِ فانظرْ إِلَيْهِ، فَأَتَاهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ، وحَدَّثَتْه بِمَا رَأَتْ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ، وَمَا قِيلَ لَهَا فيه، وما أمرت به أن تسمِّيَه.

فَيَزْعُمُونَ أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَخَذَهُ، فَدَخَلَ بِهِ الْكَعْبَةَ فَقَامَ يَدْعُو اللهَ، وَيَشْكُرُ لَهُ مَا أعطاه، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهَا، والتُمس لِرَسُولِ اللهِ ﷺ الرُّضَعَاءُ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْمَرَاضِعُ. وَفِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى عليه السلام: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾. (٩)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَاسْتَرْضَعَ لَهُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ. يُقَالُ لَهَا: حَلِيمَةُ ابنة أبي ذُؤَيْب)). (١٠)

فمن خلال الجمع بين العقيدة والتشريع من جانب، والسيرة من جانب آخر، أقول ما يأتي:

* إذا كانت الشريعة المقدسة قد ذكرت تلك الآداب الخاصة بالمرضع، وما يجب أنْ تتوافر فيها من خصال، وحثت بشدة على ذلك، وإذا كان الله تعالى حرَّم المراضع على نبيه موسى عليه السلام، لأجل إرجاعه إلى أمه.

فالتعامل مع تلك المرويات إما أنْ يكون:

١- هذا الأمر لم يحدث. أي لا يوجد واقعًا موضوع رضاعته من المرأة المعروفة تأريخيًّا بـ(حليمة السعدية)، وهذا

يؤدي إلى التأمل كثيرًا في الروايات الواردة في رضاعتها له.

٢- إنَّه قد حدث الرضاع والنبي تمت رضاعته من كافرة أو مشركة. فهل يمكن للمسلم أنْ يقول بذلك، إذ يكون الطعام الأول الذي يدخل جوف رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين، المُشَرِّع ﷺ من امرأة كافرة!!

٣- إنَّ مرضعته (حليمة) كانت على دين الحنيفية كما كان بعض الناس على ذلك، فهذا يحتاج هذا إلى بحث ودليل لإثبات حنيفيتها.

وفي مناقشة ذلك أرى:

* إنَّ الأمر الثاني لا يمكن قبوله مطلقًا؛ لمخالفته للعقيدة والتشريع، كما تقدم من بيان في أحكام الرضاع وأهميتها بصورة عامة، فكيف لو كان المُرْضَع هو المُشَرِّع، خاتم الأنبياء والمرسلين!!

* وإنَّ الأمر الثالث يحتاج إلى دليل، ولا يوجد دليل على حنيفيتها على وفق التتبع الأوَّلي للموضوع، وقد قال "ابن هشام" في سيرتها عند ذكر زوجها: ((وَاسْمُ أَبِيْهِ الَّذِيْ أَرْضَعَهُ ﷺ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَى ....)) [١١]، ثم قال الأستاذ المعلق على الكتاب في بيان ما ورد في زوجها: ((لَمْ يُذْكَرْ لَهُ إِسْلَامًا، وَلَا ذَكَرَهُ كَثِيْرٌ مِمَّنْ أَلَّفَ فِيْ الصَّحَابَةِ، وَفِيْ رِوَايَةٍ أَنَّهُ أَسْلَمَ بَعْدَ بِعْثَةِ النَّبِيِّ)). [١٢]

فما يتقدم يوضح بأنَّ صاحب اللبن (زوج حليمة) لم يكن على الحنيفية، فضلاً عن قوله في رواية أنَّه أسلم بعد البعثة، فكم كان عمره عندما أسلم؟

* والأمر الأول أنَّ موضوع رضاعه من حليمة السعدية لم يتم، وهذه روايات تحتاج إلى مراجعة دقيقة من الأعلام المحققين؛ لأنَّ المسألة مهمة جدًّا، فهو أرجح الأقوال من خلال مناقشة رواية الرضاع، وإلا فإنَّ ما تم عرضه لا يمكن الركون إليه والوثوق به.

- المورد الثاني: شقُّ صدر النبي ﷺ.

إنَّ موضوع شق صدر النبي ﷺ من الموضوعات المشهورة تأريخيًّا في كتب السيرة، وقد ذكر "ابن هشام" في سيرته عنوانات متعددة حول ذلك وما جرى عليه، أذكر من ذلك ما ورد تحت عنوانين، لتتم مناقشتهما.

أولاً: حديث الملكين اللذين شَقَّا بطنه.

((قَالَتْ [حليمة]: فَرَجَعْنَا بِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ بَعْدَ مَقْدِمِنَا بِشَهْرٍ مَعَ أَخِيهِ لَفِي بَهْمٍ لَنَا خَلْفَ بُيُوتِنَا، إِذْ أَتَانَا أَخُوهُ يَشْتَدُّ، فَقَالَ لِي وَلِأَبِيهِ: ذَاكَ أَخِي الْقُرَشِيُّ قَدْ أَخَذَهُ رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، فَأَضْجَعَاهُ، فَشَقَّا بَطْنَهُ، فَهُمَا يَسُوطَانِهِ، قَالَتْ: فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُوهُ نَحْوَهُ فَوَجَدْنَاهُ قَائِمًا مُنْتَقِعَا وجْهُه [١٣]، قَالَتْ: فَالْتَزَمْتُهُ وَالْتَزَمَهُ أَبُوهُ، فَقُلْنَا لَهُ: مَا لَكَ يَا بُنَيَّ، قَالَ: جَاءَنِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، فَأَضْجَعَانِي وَشَقَّا بَطْنِي، فَالْتَمَسَا شَيْئًا لَا أَدْرِي مَا هُوَ. قَالَتْ: فَرَجَعْنَا إِلَى خِبَائِنَا)). [١٤]

ثانيًا: الرسول يُسأل عن نفسه وإجابته ﷺ.

((قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي ثَوْرُ بْنُ يَزِيْدَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ الْكَلَاعِيِّ: أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ قَالُوْا لَهُ: يَا رَسُوْلَ اللهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ؟ قَالَ: "نَعَمْ، أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيْمَ [١٥]، وبُشْرَى أَخِي عِيْسَى [١٦]، وَرَأَتْ أُمِّي حِيْنَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُوْرٌ أَضَاءَ لَهَا قُصُوْرَ الشَّامِ، وَاسْتُرْضِعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَبَيْنَا أَنَا مَعَ أَخٍ لِي خَلْفَ بُيُوتِنَا نَرْعَى بَهْمًا لَنَا: إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيْضٌ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ ثَلْجًا، ثُمَّ أَخَذَانِي فَشَقَّا بَطْنِي، وَاسْتَخْرَجَا قَلْبِي، فَشَقَّاهُ فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ فَطَرَحَاهَا، ثُمَّ غَسَلَا

قَلْبِيْ وَبَطْنِيْ بِذَلِكَ الثَّلْجِ حَتَّى أَنْقَيَاهُ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِيْ بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِمِئَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِيْ بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِيْ بِهِمْ فَوَزَنْتُهُمْ. فَقَالَ: دَعْهُ عَنْكَ، فَوَاللَّهِ لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَوَزَنَهَا)). (١٧)

وقال الأستاذ المعلق على الكتاب: ((كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين، الأولى: في حال الطفولية لينقَّى قلبه من مغمز الشيطان، وليطهَّر ويُقدَّس من كُلِّ خُلُقٍ ذميمٍ، حتى لا يتلبَّس بشيءٍ مما يعاب على الرجال، وحتى لا يكون في قلبه شيء إلا التوحيد ... والثانية: في حال الاكتهال، وبعد ما نُبِّئ، وعندما أراد الله أنْ يرفعه إلى الحضرة المقدَّسة التي لا يصعد إليها إلا مُقَدَّس)).

فمن خلال الجمع بين العقيدة والتشريع من جانب، والسيرة من جانب آخر، أقول ما يأتي:

١- قد ذكرنا سابقًا عقيدتنا في النبوة وما يتعلق بالعصمة المطلقة، وما ورد في الرواية مخالف تمامًا لما يجب الاعتقاد به، فالعقيدة ثابتة، والروايات متغيرة مختلفة، ويجب عرضها على الثوابت في العقيدة لمعرفة مدى صلاحية قبولها.

٢- إنَّ ما تقدم في هاتين الروايتين مخالف لمقام الاصطفاء الإلهي لأنبيائه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوْحًا وَآلَ إِبْرَاهِيْمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِيْنَ﴾ (١٨)، فما معنى الاصطفاء إذن إذا كان ما تقدم بيانه في الرواية؟!

٣- هل هذا الذي قام به الملكان مع النبي محمد ﷺ قد تم عمله مع جميع الأنبياء؟! فالمفروض أنَّ الأمر في طريقة عصمتهم واحد؟ وهل ذكر ذلك أصحاب السير والتواريخ؟ فكُلُّ ذلك لم نسمعه إلا ما ورد في النبي خاصة؟

وأرجو التأمُّل فالرواية الأولى تنقل عن مرضعته حليمة، التي لا نعلم هي موجودة واقعًا في التأريخ، وما يتعلق بسيرة النبي؟!

٤- أَلا توجد طريقة أخرى تقوم بها الملائكة للتطهير غير هذه الصورة الوحشية ؟ ولا نعلم هل كان في جسده الشريف ﷺ آثار ذلك الشق ؟!

٥- لماذا طست ذهب مملوءة ثلجًا؟! علقة سوداء؟!

٦- إنَّ ما ذكره المحقق لا يمكن قبوله مطلقًا؛ إذ يخالف العقيدة في عصمته المطلقة، فأستغرب قوله (لينقَّى قلبه من مغمز الشيطان)!!، وقوله (وليطهَّر ويقدَّس من كُلِّ خلقٍ ذميم)!! (حتى لا يتلبس بشيء مما يُعاب على الرجال)!! وهذا كُلُّه مخالف لشخصية النبي ﷺ المعروفة المعهودة قبل بعثته، والتي كان يُعرف بها، وإنَّما قوله هذا يقوم على أساس عقيدة العامة في النبي بأنَّه معصوم بعد النبوة، وفي التبليغ خاصة!!

٧- إنَّ المتتبع لسيرته ﷺ من طريق الإمام علي عليه السلام وهو نفس النبي يرى غير ذلك مطلقًا، وهذا ما يدل على عظمة النبي ومقامه عند الله تعالى، ورعايته وتعهده منذ ولادته ما يخالف ذلك تمامًا من الصورة الوحشية الغريبة لتطهيره، حاشاه وهو الطاهر المطهَّر، قال أمير المؤمنين في إحدى خطبه في بيان صفة نزول الوحي: ((وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِيْ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيْبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيْصَةِ، وَضَعَنِيْ فِيْ حِجْرِهِ، وَأَنَا وَلِيْدٌ يَضُمُّنِيْ إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِيْ فِيْ فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِيْ جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِيْ عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيْهِ، وَمَا وَجَدَ لِيْ كِذْبَةً فِيْ قَوْلٍ، وَلا خَطْلَةً فِيْ فِعْلٍ، وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيْمًا أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيْقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ....)). [١٩]

فلنتأمل في قوله: ((وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيْمًا أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيْقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ))، فأين هذا الوصف مما ورد في الروايتين المتقدمتين لابن هشام؟

وإذا كان هناك نص صريح من طريق علي بن أبي طالب عليه السلام الذي هو أعرف إنسان به، وقد ورد هذا النص في الكتب المشهورة المعتمدة، فهل هناك حاجة إلى تلك الروايات المخالفة لمقام النبوة، والعقيدة فيها؟ فما ورد في خطبة الإمام موافقة تمامًا للعقيدة الإسلامية في النبوة.

فالباحث في السيرة النبوية عليه أنْ يتأمَّل ويتدبَّر كثيرًا عند عرضه وبيانه لمثل هذه الروايات لسيرة خاتم النبيين والمرسلين صلى الله عليه وآله!!

- المورد الثالث: نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وآله.

إنَّ موضوع بداية نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وآله من الموضوعات المشهورة تأريخيًّا في كتب السيرة، وقد ذكر «ابن هشام» في سيرته عنوانات متعددة فيه، وأذكر أربعة منها لأهمية الأمر؛ إذ في كُلِّ رواية من تلك إشكالات متعددة، وتحتاج إلى قراءات تأملية فيها، وسأذكرها لتناقش بعد ذلك.

أولاً: نزول جبريل عليه صلى الله عليه وآله.

((قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَتَّى إِذَا كَانَ الشَّهْرُ الَّذِيْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى بِهِ فِيْهِ مِنْ كَرَامَتِهِ، مِنَ السَّنَةِ الَّتِيْ بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى فِيْهَا .... قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وآله: فَجَاءَنِيْ جِبْرِيْلُ وَأَنَا نَائِمٌ، بِنَمَطٍ [٢٠] مِنْ دِيْبَاجٍ فِيْهِ كِتَابٌ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ. قَالَ: فَغَتَّنِيْ بِهِ [٢١]، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الموتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي. فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ قُلْتُ: «مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَغَتَّنِيْ بِهِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِيْ. فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ:

قُلْتُ: «مَاذَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَغَتَّنِيْ بِهِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِيْ. فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: فَقُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ مَا أَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا افْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يَعُوْدَ لِيْ بِمِثْلِ مَا صَنَعَ بِيْ. فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِيْ خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِيْ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [٢٢]، قَالَ: فَقَرَأْتُهَا، ثُمَّ انْتَهَى، فَانْصَرَفَ عَنِّي، وَهَبَبْتُ مِنْ نَوْمِيْ، فَكَأَنَّمَا كَتَبْتُ فِيْ قَلْبِيْ كِتَابًا. قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي وَسَطٍ مِنَ الْجَبَلِ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ يَقُوْلُ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُوْلُ اللهِ، وَأَنَا جِبْرِيْلُ. قَالَ: فَرَفَعْتُ رَأْسِيْ إِلَى السَّمَاءِ أَنْظُرُ، فَإِذَا جِبْرِيْلُ فِيْ صُوْرَةِ رَجُلٍ صَافٍّ قَدَمَيْهِ فِيْ أُفُقِ السَّمَاءِ يَقُوْلُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُوْلُ اللهِ وَأَنَا جِبْرِيْلُ ....)). [٢٣]

ثانيًا: الرسول ﷺ يخبر خديجة (رضي الله عنها) بنزول جبريل عليه.

((وَانْصَرَفْتُ رَاجِعًا إِلَى أَهْلِيْ، حَتَّى أَتَيْتُ خَدِيْجَةَ، فَجَلَسْتُ إِلَى فَخِذِهَا مُضَيِّفًا إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَيْنَ كُنْتَ؟ فَوَاللهِ لَقَدْ بَعَثْتُ رُسُلِيْ فِيْ طَلَبِكَ، حَتَّى بَلَغُوْا مَكَّةَ وَرَجَعُوْا لِيْ. ثُمَّ حَدَّثْتُهَا بِالَّذِيْ رَأَيْتُ. فَقَالَتْ: أَبْشِرْ يَا ابْنَ عَمِّ، وَاثْبُتْ، فَوَالَّذِيْ نَفْسُ خَدِيْجَةَ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُوْ أَنْ تَكُوْنَ نَبِيَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ)). [٢٤]

ثالثًا: خديجة تخبر ورقة بن نوفل.

((ثُمَّ قَامَتْ فَجَمَعَتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا، ثُمَّ انْطَلَقَتْ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّهَا، وَكَانَ وَرَقَةُ قَدْ تَنَصَّرَ، وَقَرَأَ الْكُتُبَ، وَسَمِعَ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيْلِ، فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا أَخْبَرَهَا بِهِ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ أَنَّهُ رَأَى وَسَمِعَ. فَقَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: قُدُّوْسٌ قُدُّوْسٌ، وَالَّذِي نَفْسُ وَرَقَةَ بِيَدِهِ لَئِنْ كُنْتِ صَدَقْتِيْنِيْ يَا خَدِيْجَةُ لَقَدْ جَاءَهُ النَّامُوْسُ الْأَكْبَرُ الَّذِيْ كَانَ يَأْتِيْ مُوْسَى، وَإِنَّهُ لَنَبِيُّ

هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَقُوْلِيْ لَهُ: فَلْيَثْبُتْ .... فَرَجَعَتْ خَدِيْجَةُ إِلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُ بِقَوْلِ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، فَلَمَّا قَضَى رَسُوْلُ اللهِ ﷺ جِوَارَه وَانْصَرَفَ، صَنَعَ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ: بَدَأَ بِالْكَعْبَةِ، فَطَافَ بِهَا، فَلَقِيَهُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ وَهُوَ يَطُوْفُ بِالْكَعْبَةِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِيْ أَخْبِرْنِيْ بِمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ، فَأَخْبَرَهُ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ، إِنَّكَ لَنَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَقَدْ جَاءَكَ النَّامُوْسُ الْأَكْبَرُ الَّذِيْ جَاءَ مُوْسَى ....)). (٢٥)

رابعًا: تثبُّت خديجة من الوحي.

((قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِيْ إِسْمَاعِيْلُ بْنُ أَبِيْ حَكِيْمٍ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ حُدِّث عَنْ خَدِيجَةَ «رَضِيَ اللهُ عَنْهَا» أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ: أَيْ ابْنَ عَمِّ، أَتَسْتَطِيْعُ أَنْ تُخْبِرَنِيْ بِصَاحِبِكَ هَذَا الَّذِيْ يَأْتِيْكَ إِذَا جَاءَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَإِذَا جَاءَكَ فَأَخْبِرْنِيْ بِهِ. فَجَاءَهُ جِبْرِيْلُ عليه السلام كَمَا كَانَ يَصْنَعُ، فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ لِخَدِيْجَةَ: يَا خَدِيْجَةُ هَذَا جِبْرِيْلُ قَدْ جَاءَنِيْ. قَالَتْ: قُمْ يَا ابْنَ عَمِّ فَاجْلُسْ عَلَى فَخِذِيْ الْيُسْرَى. قَالَ: فَقَامَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فَجَلَسَ عَلَيْهَا. قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَتَحَوَّلْ فَاجْلُسْ عَلَى فَخِذِيْ الْيُمْنَى. قَالَتْ: فَتَحَوَّلَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فَجَلَسَ عَلَى فَخِذِيْ الْيُمْنَى. فَقَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: فَتَحَوَّلْ فَاجْلُسْ عَلَى حِجْرِيْ. قَالَتْ: فَتَحَوَّلَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فَجَلَسَ فِيْ حِجْرِهَا. قَالَتْ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَتَحَسَّرَتْ وَأَلْقَتْ خِمَارَهَا وَرَسُوْلُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فِيْ حِجْرِهَا. ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: هَلْ تَرَاهُ؟ قَالَ: لَا. قَالَتْ: يَا ابْنَ عَمِّ، اثْبُتْ وَأَبْشِرْ، فَوَاللهِ إِنَّهُ لَمَلَكٌ وَمَا هَذَا بِشَيْطَانٍ)). (٢٦)

فمن خلال الجمع بين العقيدة والتشريع من

جانب، والسيرة من جانب آخر، أقول ما يأتي في بيان ما يتعلق بهذا الأمر وعظمته حيث بزوغ نور الرسالة وفجرها في الأمة، وبداية البعثة لخاتم الأنبياء والمرسلين، الذين كانوا يبشرون ويستبشرون بنبي آخر الزمان:

١- إنَّ الرواية الأولى المتعلقة بالقراءة، فقد وردت بطريقتين كما ذكر المحقق (مَا أَقْرَأُ، وَمَا أَنَا بِقَارِىءٍ).

فالحرف (ما) في الرواية إما أنْ يكون استفهامًا، أي يستفهم النبي ﷺ من جبريل ماذا يريد منه أنْ يقرأ؟

أو يكون نافيًا، أي ينفي النبي عنه العلم بالقراءة فهو أُمِيٌّ بذلك؟

فإذا كان الحرف للاستفهام فالمفروض أنْ يعرف ذلك جبرائيل، ويذكر له ما يريد قراءته هذا من جانب، ومن جانب آخر إذا كان للاستفهام يعني أنَّ النبي ﷺ كان يعرف القرآن من قبل نزول جبريل عليه، وهو يستفهم عن أيِّ آية، أو سورة يريد منه جبريل أنْ يقرأها.

وإذا كان الحرف للنفي، أفلا يعرف جبريل أنَّ النبي لا يعرف القراءة، وهو الواقع الذي كان عليه؟!

ولماذا يعيد الأمر عليه ثلاث مرات، وفي الرابعة يخبره بما يريد قراءته؟!

ولماذا يعصره بهذه الطريقة عصرًا شديدًا ((فَغَتَّنِيْ بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي))؟!

٢- الرواية الثانية: تبيِّن بوضوح تام علم خديجة بالنبوة وجهل محمد ﷺ ((أَبْشِرْ يَا ابْنَ عَمٍّ، وَاثْبُتْ، فَوَالَّذِي نَفْسُ خَدِيْجَةَ بِيَدِهِ إِنِّيْ لَأَرْجُوْ أَنْ تَكُوْنَ نَبِيَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ))؟!

وما هذه الصورة من الجلوس إلى فخذها

((فَجَلَسْتُ إِلَى فَخِذِهَا مُضَيِّفًا إِلَيْهَا))؟! كأنها صورة الهلع، والخوف، والرهبة، والخشية، وسوف ترى بعد التفحُّص في الروايات ورود لفظة (الفخذ) مرات متعددة في سيرته الشريفة؟!!

٣- الرواية الثالثة: تبين بوضوح مقام ورقة بن نوفل في إثبات نبوة محمد ﷺ، ومعرفته بالنبوة من النبي نفسه، ولنتأمل في ألفاظ الرواية التي تظهر مكانة ورقة بن نوفل، وأثره ووجوده في روايات مبعث النبي.

* ثُمَّ انْطَلَقَتْ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ.

* فَقَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: قُدُّوْسٌ قُدُّوْسٌ، وَالَّذِيْ نَفْسُ وَرَقَةَ بِيَدِهِ لَئِنْ كُنْتِ صَدَقْتِيْنِيْ يَا خَدِيْجَةُ لَقَدْ جَاءَهُ النَّامُوْسُ الْأَكْبَرُ الَّذِيْ كَانَ يَأْتِيْ مُوسَى، وَإِنَّهُ لَنَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

* فَقُوْلِي لَهُ: فَلْيَثْبُتْ.

* فَرَجَعَتْ خَدِيْجَةُ إِلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُ بِقَوْلِ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ.

* فَلَقِيَهُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ وَهُوَ يَطُوْفُ بِالْكَعْبَةِ.

* فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: وَالَّذِي نَفْسِيْ بِيَدِهِ، إِنَّكَ لَنَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

٤- الرواية الرابعة: وفيها تساؤلات متعددة، منها:

أ- في أصل العنوان ورد (تثبُّت خديجة؟!)، فلماذا تريد خديجة أنْ تتثبت من النبوة؟! هل تريد أنْ تكون أعلم من النبي ﷺ بإثبات النبوة منه؟!

* تصوير الرواية لطلب خديجة من النبي أنْ يجلس، ففي الأولى الجلوس على الفخذ الأيسر، فلنتأمل (على الفخذ) وليس (إلى الفخذ) كما في الرواية الثانية المتقدمة؟!

وفي الثانية الجلوس على الفخذ الأيمن؟!

وفي الثالثة الجلوس في الحجر؟!

فلو أردنا أنْ نتصور هذه الطريقة من الجلسات فهل يُعقل هذا الأمر، وهل يمكن القول به؟!!

والنبي رجل كبير ابن أربعين عامًا يجلس على فخذ زوجته، ثم في حجرها كما في الرواية!!

فما هذه الأقوال؟! وما يريدون من تصوير مثل هذه الطريقة لاختبار النبوة؟!!

ب- إنَّ التأمل في كيفية معرفتها بطريقة اختبار الملك عن الشيطان كما تذكر هذه الرواية العجيبة تحتاج إلى وقفة ووقفة؟

فمن أين تعلمت هذه الطريقة لاختبار نبوة الأنبياء؟

وهل بمثل هذه الطريقة يتم الاختبار؟!

ت- هل يُعقل أنَّ خاتم الأنبياء والمرسلين يأخذ صدق الوحي من ورقة مرة، ومن خديجة مرة ثانية! والرسول هو الواسطة بين الخالق والمخلوق، والمُشَرِّعُ لخاتمة الرسالات.

(عفوًا) .. لو نريد أنْ نصوِّرَ هذه الرواية الآن تمثيليًّا هل يُعقل ذلك؟ لماذا نستهجن على الغرب عندما يقومون بنقل مثل هذه الصور عن النبي؟ أو المستشرقون عندما يقولون ما يقولون؟!

ث- ورود لفظ (الفخذ؟!!) بأكثر من رواية، وأكثر من طريقة يستدعي الوقوف عنده، وهذا يذكِّرنا بتلك الرواية العجيبة عن عائشة، فقد ورد عنها ((قَالَتْ: كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِيْ بَيْتِيْ، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ،

فَاسْتَأْذَنَ أَبُوْ بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وَسَوَّى ثِيَابَهُ -قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُوْلُ ذَلِكَ فِيْ يَوْمٍ وَاحِدٍ- فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُوْ بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ: أَلَا أَسْتَحِيْ مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِيْ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ)) [٢٧]، فلنتأمَّل هل هذا هو محمد ﷺ صاحب الخلق العظيم؟!! ما لكم كيف تفترون!!

إنَّ الإساءة عند القوم للنبي ﷺ ليس أمرًا مهمًّا، بل المهم تعظيم مَنْ نريد تعظيمه، ولو كان فيه إساءة لخاتم الأنبياء؟!! والروايات في مثل ذلك كثيرة!!

بل وصل الحال إلى أحاديث تنسب إلى سيرته تحيِّر العقول، فقد ورد عن قتادة أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدُوْرُ عَلَى نِسَائِهِ فِيْ السَّاعَةِ الوَاحِدَةِ، مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ. قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ أَوَ كَانَ يُطِيْقُهُ؟ قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِيْنَ)) [٢٨]، وفي رواية عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْتَشِرِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: ((ذَكَرْتُهُ [أي ابن عمر] لِعَائِشَةَ فَقَالَتْ: يَرْحَمُ اللهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كُنْتُ أُطَيِّبُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ فَيَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ، ثُمَّ يُصْبِحُ مُحْرِمًا يَنْضَخُ طِيبًا)). [٢٩]

فلنترك أيها السادة الدفاع عن النبي من ناحية العقيدة، ولكن لندافع عن النبي بوصفه نبيا مؤهَّلا لحمل الرسالة الخاتمة، فهل يليق ذكر ما تقدم في عالمٍ كبير، أو مفكر، أو مرجع أو .. أو؟!!

أكرر القول إنَّ أمثال هذه الروايات المكذوبة العجيبة التي تريد تقديس أشخاص هي

السبب الذي يفسح المجال لأولئك الذين يريدون النيل من شخصية النبي والإسلام؟!! والمسؤولية كبير جدًّا على الباحثين والمحققين في معرفة ذلك والرد عليه!!

والآن أحاول ذكر الروايات الواردة في أنَّ غير النبي كانوا يعلمون بنبوته ومقامه، وهو يجهل ذلك (حاشاه)، فهل يمكن الركون إلى مثل ذلك في سيرة خاتم الأنبياء والمرسلين، اعتمادًا على ما تقدم من الروايات.

الروايات الدالة على أن الناس تعلم بنبوة محمد وهو لا يعلم:

١- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ((وَحَدَّثَنِيْ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّ مِمَّا هَاجَ أُمَّهُ السَّعْدِيَّةَ عَلَى رَدِّهِ إِلَى أُمِّهِ، مَعَ مَا ذَكَرَتْ لِأُمِّهِ مِمَّا أَخْبَرَتْهَا عَنْهُ، أَنَّ نَفَرًا مِنْ الْحَبَشَةِ نَصَارَى رَأَوْهُ مَعَهَا حِيْنَ رَجَعَتْ بِهِ بَعْدَ فِطَامِهِ، فَنَظَرُوْا إِلَيْهِ، وَسَأَلُوْهَا عَنْهُ وَقَلَّبُوْهُ، ثُمَّ قَالُوْا لَهَا: لَنَأْخُذَنَّ هَذَا الْغُلَامَ، فَلَنَذْهَبَنَّ بِهِ إِلَى مَلِكِنَا وَبَلَدِنَا؛ فَإِنَّ هَذَا غُلَامٌ كَائِنٌ لَهُ شَأْنٌ نَحْنُ نَعْرِفُ أَمْرَهُ، فَزَعَمَ الَّذِيْ حَدَّثَنِيْ أَنَّهَا لَمْ تَكَدْ تَنْفَلِتُ بِهِ مِنْهُمْ)). (٣٠)

٢- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ((وَكَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ مَعَ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَكَانَ يُوضعَ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِرَاشٌ فِيْ ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَكَانَ بَنُوْهُ يَجْلِسُوْنَ حَوْلَ فِرَاشِهِ ذَلِكَ، حَتَّى يَخْرُجَ إِلَيْهِ، لَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِيْهِ إِجْلَالاً لَهُ، قَالَ: فَكَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ يَأْتِيْ وَهُوَ غُلَامٌ جَفْرٌ (٣١)، حَتَّى يَجْلِسَ عَلَيْهِ، فَيَأْخُذَهُ أَعْمَامُهُ، لِيُؤَخِّرُوهُ عَنْهُ، فَيَقُولُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، إِذَا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ: دَعُوا ابْنِي، فَوَاللهِ إِنَّ لَهُ لَشَأْنًا، ثُمَّ يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى الْفِرَاشِ وَيَمْسَحُ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ، وَيَسُرُّهُ مَا يَرَاهُ يَصْنَعُ)). (٣٢)

٣- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ((وَكَانَتْ خَدِيْجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ قَدْ ذَكَرَتْ لِوَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى -وَكَانَ ابْنَ عَمِّهَا، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا قَدْ تَتَبَّعَ الْكُتُبَ، وعَلِمَ مِنْ عِلْمِ

النَّاسِ- مَا ذَكَرَ لَهَا غُلَامُهَا مَيْسَرَةُ مِنْ قَوْلِ الرَّاهِبِ، وَمَا كَانَ يَرَى مِنْهُ، إِذْ كَانَ الْمَلَكَانِ يُظِلَّانِهِ، فَقَالَ وَرَقَةُ: لَئِنْ كَانَ هَذَا حَقًّا يَا خَدِيْجَةُ، إِنَّ مُحَمَّدًا لَنَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ كَائِنٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ نَبِيٌّ يُنْتَظَرُ، هَذَا زَمَانُهُ، أَوْ كَمَا قَالَ)). (٣٣)

٤- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ((وَكَانَتِ الْأَحْبَارُ مِنْ يَهُوْدٍ، وَالرُّهْبَانُ مِنَ النَّصَارَى، وَالْكُهَّانُ مِنَ الْعَرَبِ، قَدْ تَحَدَّثُوا بِأَمْرِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ قَبْلَ مَبْعَثِهِ، لَمَّا تَقَارَبَ مِنْ زَمَانِهِ ....)). (٣٤)

فهل يمكن أنْ نعقل بأَنَّ كُلَّ هؤلاء يعلمون بنبوته وينتظرون ذلك وهو النبي لا يعلم؟!

وهل يمكن الركون إلى تلك الروايات التي تصوِّر لنا بطولة ورقة بن نوفل في شخصية النبي ﷺ، فمثلاً:

* محمد ضاع فلقيه ورقة بن نوفل.
* محمد لا يعرف وقت نبوته ولكن يعرفه ورقة بن نوفل.
* محمد لا يعرف علامات الوحي ولكن يعرفه ورقة بن نوفل.
* محمد يطوف حول الكعبة ويراه ورقة بن نوفل.

فهل كُلُّ هذا تكريم لمقام النصرانية التي كان عليها ورقة بن نوفل؟!

أو تكريم لورقة بن نوفل الذي اكتشف محمدًا ونبوته؟! أو ماذا؟!

وليس هناك أدنى مشكلة بأَنَّ محمدًا لا يعرف ذلك؟!

بصراحة فمن يقرأ مثل هذه السيرة للنبي فماذا يقول عنه؟!

ولكن لو رجعنا إلى روايات أخرى لرأينا أَنَّها تبيِّن مقام النبي ونبوته من دون أي إساءة، أو تشويه للحقائق، بما يليق بهذا المقام، فمثلاً ورد في خطبة للإمام علي عليه السلام

قوله: ((وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِيْ كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَلاَ يَرَاهُ غَيْرِيْ، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلاَمِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيْحَ النُّبُوَّةِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، فَقُلْتُ يَا رَسُوْلَ اللهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلَكِنَّكَ لَوَزِيْرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ)). (٣٥)

وهناك روايات أخرى تبيِّن أنَّ النبيَّ كان له شأنٌ عظيم منذ صغره، وكان أهل بيته يخافون عليه من أي سوء، وفي ذلك دلالات على معرفتهم بمقامه الذي سيكون عليه في يوم من الأيام، فقد ورد عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق ﷺ قال: ((يُبْعَثُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أُمَّةً وَحْدَهُ، عَلَيْهِ بَهَاءُ الْمُلُوْكِ، وَسِيْمَاءُ الْأَنْبِيَاءِ.... أَرْسَلَ النَّبِيَّ إِلَى الرَّعْيِ مَعَ الْإِبِلِ فَأَبْطَأَ، فَبَحَثَ عَنْهُ فِيْ طَلَبِهِ فَأَخَذَ بِحَلَقَةِ بَابِ الْكَعْبَةِ يَصِيْحُ: أَتُهْلِكُ آلَكَ، إِنْ تَفْعَلَ فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ، وَلَمَّا رَأَى رَسُوْلَ اللهِ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» فقبَّلَهُ وَقَالَ: يَا بُنَيَّ لَا وَجَّهْتُكَ بَعْدَ هَذَا فِيْ شَيْءٍ، فَإِنِّيْ أَخَافُ أَنْ تُغْتَالَ فَتُقْتَلَ)). (٣٦)

فلو تأملنا ألفاظ الرواية نرى قول عبد المطلب (أَتُهْلِكُ آلَكَ)، فقد نسب الآل إلى الله تعالى، وفيه ما يدل على معرفة المقام والمنزلة، واليقين بها.

وقوله (فَإِنِّيْ أَخَافُ أَنْ تُغْتَالَ فَتُقْتَلَ)، ففي ذلك أسئلة يمكن أنْ يسألها الباحث في تحقيقه للرواية، لماذا شدة الخوف الكبير من عبد المطلب على النبي، هل لمجرد أنَّه يتيم صغير لم يبلغ السنة الثامنة؟ أم ماذا؟

وهل إذا ضاع الولد يتم اغتياله وقتله آنذاك؟

قوله (تغتال فتقتل)، الاغتيال؟ القتل؟ فمن

يقوم بذلك؟ وهل يعرف الآخرون مقامه الآن؟ أو في المستقبل؟

إنَّ في كُلِّ ذلك إشارات إلى أنَّ له مقامًا رفيعًا معلومًا مشهورًا، فكيف يأتيه الوحي وهو لا يعرف بذلك، ويتم إثبات النبوة له من غيره من النصارى وسواهم؟!

المورد الرابع: النبي ﷺ وأبو بكر في الهجرة.

فيما يتعلق بأبي بكر وردت موضوعات متعددة، أحاول ذكر روايتين من ذلك، ثم بيان ما يتعلق بهما.

١- الرواية الأولى: أبو بكر يطمع في المصاحبة.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ((وَكَانَ أَبُوْ بَكْرٍ «رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» رَجُلاً ذَا مَالٍ، فَكَانَ حِيْنَ اسْتَأْذَنَ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ فِي الْهِجْرَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: لا تَعْجَلْ، لَعَلَّ اللهَ يَجِدُ لَكَ صَاحِبًا، قَدْ طَمِعَ بِأَنْ يَكُوْنَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ إِنَّمَا يَعْنِيْ نَفْسَهُ حِيْنَ قَالَ لَهُ ذَلِكَ، فَابْتَاعَ رَاحِلَتَيْنِ، فَاحْتَبَسَهُمَا فِيْ دَارِهِ، يَعْلِفُهُمَا إِعْدَادًا لِذَلِكَ)). [٣٧]

٢- الرواية الثانية: حديث الهجرة إلى المدينة.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ((فَحَدَّثَنِيْ مَنْ لَا أَتَّهِمُ، عَنْ عِرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِيْنَ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ لَا يُخْطِئُ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ بَيْتَ أَبِيْ بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفَيْ النَّهَارِ، إِمَّا بُكْرَةً وَإِمَّا عَشِيَّةً، حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِيْ أُذِنَ فِيْهِ لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ فِي الْهِجْرَةِ، وَالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَيْ قَوْمِهِ، أَتَانَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ بِالْهَاجِرَةِ [٣٨]، فِيْ سَاعَةٍ كَانَ لَا يَأْتِيْ فِيْهَا، قَالَتْ: فَلَمَّا رَآهُ أَبُوْ بَكْرٍ، قَالَ: مَا جَاءَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ هَذِهِ السَّاعَةَ إِلَّا لِأَمْرٍ حَدَثَ. قَالَتْ: فَلَمَّا دَخَلَ، تَأَخَّرَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ عَنْ سَرِيرِهِ، فَجَلَسَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وَلَيْسَ عِنْدَ أَبِيْ بَكْرٍ إِلَّا أَنَا وَأُخْتِيْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِيْ

بَكْرٍ، فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: أَخْرِجْ عَنِّيْ مَنْ عِنْدَكَ. فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ، إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ، وَمَا ذَاكَ؟ فِدَاكَ أَبِيْ وَأُمِّيْ! فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِيْ فِي الْخُرُوجِ وَالْهِجْرَةِ. قَالَتْ: فَقَالَ أَبُوْ بَكْرٍ: الصُّحْبَةَ يَا رَسُوْلَ اللهِ. قَالَ: الصُّحْبَةَ. قَالَتْ: فَوَاللهِ مَا شَعُرْتُ قَطُّ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَحَدًا يَبْكِيْ مِنَ الْفَرَحِ، حَتَّى رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَبْكِيْ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنَّ هَاتَيْنِ رَاحِلَتَانِ قَدْ كُنْتُ أَعْدَدْتُهُمَا لِهَذَا. (٣٩)

ليست لدينا أي مشكلة تجاه الروايات التي ترد في بيان فضل الصحابة، ولكن يجب أنْ تكون موافقة لواقع التشريع، وعندما نقرأ ذلك بتأمل وتدبر نرى ما يأتي:

* إنَّ النبيَّ يبيِّن أنَّ أمر الصحبة لأبي بكر متعلق بالله تعالى، وأنَّه عز وجل يتكفَّل أمره (لا تَعْجَلْ، لَعَلَّ اللهَ يَجِدُ لَكَ صَاحِبًا)!!

* إنَّ شراء أبي بكر لراحلتين وما جرى أظنَّ يحتاج إلى تأمُّل (فَابْتَاعَ رَاحِلَتَيْنِ، فَاحْتَبَسَهُمَا فِيْ دَارِهِ، يَعْلِفُهُمَا إِعْدَادًا لِذَلِكَ)!! وهذا ما دعا الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) إلى القول في تفسير الآية المباركة: ((الوجه الحادي عشر: مِنَ الْوُجُوْهِ الدَّالَّةِ عَلَى فَضْلِ أَبِيْ بَكْرٍ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ إِطْبَاقُ الْكُلِّ عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ هُوَ الَّذِيْ اشْتَرَى الرَّاحِلَةَ لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ ....)). (٤٠)

* إنَّ الرواية تحاول أنْ تبيِّن شدة تعلُّق النبي بأبي بكر، وإنَّه لا يفارق داره، إما بكرة أو عشية، ففيها ما يوحي إلى ما تقدم، وهذا ما لم نسمع به في روايات أخرى!! لذلك ترى ما يتشدق به الفخر الرازي بالقول: ((الوجه الثاني عشر: إِنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ حِيْنَ دَخَلَ الْمَدِيْنَةَ مَا كَانَ مَعَهُ إِلَّا أَبُوْ بَكْرٍ، وَالْأَنْصَارُ مَا رَأَوْا مَعَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ أَحَدًا إِلَّا

أَبَا بَكْرٍ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّه كَانَ يَصْطَفِيْه لِنَفْسِه مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِه فِيْ السَّفَرِ وَالْحَضَرِ)) [٤١]، فبناء على هذا القول للرازي أقول لقد أتت تلك الروايات أُكُلَها حيث كانت تصف السيدة أباها ((كَانَ لَا يُخْطِئُ رَسُوْلُ الله ﷺ أَنْ يَأْتِيَ بَيْتَ أَبِيْ بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفَيْ النَّهَارِ، إِمَّا بُكْرَةً وَإِمَّا عَشِيَّةً)).

* إنَّ أمثال هذه الروايات وخصوصًا الواردة عن السيدة عائشة في أبيها هي التي فسحت المجال للتأويلات الغريبة من أجل تعظيم الصحابة، بل تقديسهم في بعض الأحايين، وهذا ما يجب على الباحث الالتفات إليه وبيان أصله، ومعرفة أبعاده، فقال الفخر الرازي في تقديسه لأبي بكر بعد ما تقدم من كلامه: ((وَإِنَّ أَصْحَابَنَا زَادُوْا عَلَيْه وَقَالُوْا: لَمَّا لَمْ يَحْضَرْ مَعَهُ فِيْ ذَلِكَ السَّفَرِ أَحَدٌ إِلَّا أَبُوْ بَكْرٍ، فَلَوْ قُدِّرَ أَنَّه تُوُفِّيَ رَسُوْلُ الله ﷺ فِيْ ذَلِكَ السَّفَرِ لَزَمَ أَنْ لَا يَقُوْمَ بِأَمْرِه إِلَّا أَبُوْ بَكْرٍ، وَأَنْ لَا يَكُوْنَ وَصِيُّهُ عَلَى أُمَّتِه إِلَّا أَبُوْ بَكْرٍ، وَأَنْ لَا يُبَلِّغَ مَا حَدَثَ مِنَ الْوَحْيِ وَالتَّنْزِيْلِ فِيْ ذَلِكَ الطَّرِيْقِ إِلَى أُمَّتِه إِلَّا أَبُوْ بَكْرٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى الْفَضَائِلِ الْعَالِيَةِ، وَالدَّرَجَاتِ الرَّفِيْعَةِ لِأَبِيْ بَكْرٍ)) [٤٢]، وهذا من غريب القول؟! فلماذا هذه الملازمة بوجوب أنْ يكون أبو بكر هو الوصي!! وهو الذي يبلغ لا غيره!!

والظاهر أنَّ الرازي وأمثاله قد أنساهم التقديس الروايات الواردة في الإمام علي بخصوص هذه الفضائل العالية والدرجات الرفيعة من دون سواه من الصحابة، فقد روي عن أنس بن مالك: ((بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بِبَرَاءَةَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ: لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يُبَلِّغَ هَذَا إِلاَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي فَدَعَا عَلِيًّا فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ)) [٤٣]، وفي حديث آخر ورد عن عن ابن عباس قال: ((بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يُنَادِيَ بِهَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ عَلِيًّا، فَبَيْنَا أَبُو بَكْرٍ فِي

بَعْضِ الطَّرِيقِ إِذْ سَمِعَ رُغَاءَ نَاقَةِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ الْقَصْوَاءِ، فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَزِعًا فَظَنَّ أَنَّهُ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَأَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يُنَادِيَ بِهَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ فَانْطَلَقَا فَحَجَّا، فَقَامَ عَلِيٌّ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ، فَنَادَى: ذِمَّةُ اللهِ وَرَسُولِهِ بَرِيئَةٌ مِنْ كُلِّ مُشْرِكٍ، فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَلاَ يَحُجَّنَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَنَّ بِالبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَكَانَ عَلِيٌّ يُنَادِيْ، فَإِذَا عَيِيَ قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَنَادَى بِهَا))[٤٤].

* إنَّ عمر السيدة عائشة كان سبعا أو ثماني سنين، وهي تروي هذه الرواية، تقول: ((وَلَيْسَ عِنْدَ أَبِيْ بَكْرٍ إِلَّا أَنَا وَأُخْتِيْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِيْ بَكْرٍ))، وإنَّ قول أبي بكر: ((يَا رَسُوْلَ اللهِ، إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ)) فيه إشارة واضحة لبيان أنَّ لهما –خصوصًا عائشة– مقاما عظيما في الإسلام، إذ شهدت بدايات معاناة النبي، وكانت على درجة عالية من الوثاقة، إذ يتحدث النبي مع أبيها أمامها في أمر خطير جدًّا، ولهذا نرى هناك من الروايات الكبيرة الواردة في حقها والتي توحي إلى ذلك المقام لها، فقد ورد عن أبي موسى الأشعري قال: ((مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ، إِلاَّ وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا))[٤٥]، وعن مسروق: ((أَنَّهُ قِيْلَ لَهُ: هَلْ كَانَتْ عَائِشَةُ تُحْسِنُ الْفَرَائِضَ [أي المواريث]؟ قال: إِيْ وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ مَشْيَخَةَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَسْأَلُوْنَهَا عَنِ الْفَرَائِضِ))[٤٦]، وغيرهما من الروايات وقد ذكرت ما تقدم لبيان ما يدلُّ على ما تقدم، وقد أعرضت عن روايات كثيرة لأنها خارج البحث.

* إنَّ قول السيدة عائشة: ((فَوَاللهِ مَا شَعُرْتُ قَطُّ

قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَحَدًا يَبْكِيْ مِنْ الْفَرَحِ، حَتَّى رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَبْكِيْ يَوْمَئِذٍ)) يخالف ما ورد في القرآن الكريم من فزع وخوف أبي بكر، قال تعالى فيما يتعلق بالهجرة إلى المدينة: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُوْلُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِيْنَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُوْدٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ﴾ (٤٧)، ففي الآية بيان لما أصاب أبا بكر من الخوف والحزن، قال الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م) بعد بيان ما يتعلق بالآية من الخوف: ((فَأَيْنَ مَوْضِعُ الْفَضِيْلَةِ لِلرَّجُلِ لَوْلَا الْعِنَادُ، وَلَمْ نَذْكُرْ هَذَا لِلطَّعْنِ عَلَى أَبِيْ بَكْرٍ، بَلْ بَيَّنَّا أَنَّ الاسْتِدْلَالَ بِالْآيَةِ عَلَى الْفَضْلِ غَيْرُ صَحِيْحٍ)) (٤٨)، ولكنَّ السيدة أرادت أنْ تجعل ذلك المقام لأبيها (يَبْكِيْ مِنَ الْفَرَحِ)، ولا أعلم هل في ذلك إشارة إلى تقليل مقام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي بات على فراش النبي يوم الهجرة يفديه بنفسه؟

أو أرادت أنْ تبيِّن مقام بيت أبي بكر في الدفاع عن الإسلام، فلا يكون بذلك أهل البيت عليهم السلام لهم الفضل والسبق في ذلك؟

وهذا ما نراه عند المفسرين من العامة في توجيه الآية لتوافق أمثال تلك الروايات، يقول الفخر الرازي: ((وَالْوَجْهُ السَّابِعُ: فِيْ دِلَالَةِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى فَضْلِ أَبِيْ بَكْرٍ قَوْلُهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ هَذِهِ الْمَعِيَّةِ، الْمَعِيَّةُ بِالْحِفْظِ وَالنُّصْرَةِ وَالْحِرَاسَةِ وَالْمَعُوْنَةِ، وَبِالْجُمْلَةِ فَالرَّسُوْلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شَرَكَ بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ أَبِيْ بَكْرٍ فِيْ هَذِهِ الْمَعِيَّةِ)). (٤٩)

فلنتأمل جيدًا في قول الرازي: (فَالرَّسُوْلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شَرَكَ بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ أَبِيْ بَكْرٍ

فِيْ هَذِهِ الْمَعِيَّةِ)، فإنَّ مثل تلك الأحاديث التي وردت عن السيدة عائشة وأمثالها هي التي مهَّدَت لهذه الأقوال، فكانت هذه النتيجة، أنْ تتم المعيَّةُ، والشِّركة في النفس، بين خاتم الأنبياء والمرسلين، سيد الموحِّدين وبين مَنْ قضى شطرًا كبيرًا من حياته في الشرك وعبادة الأوثان؟! فهذه أقوال في الواقع واضحة المعالم في أنَّها تريد تقديس الرجال على النبي والشريعة!!

إنَّ مثل هذه الأقوال تريد إبعاد المسلمين على الفضائل العظيمة التي اختصَّ الله تعالى بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بصورة غير مباشرة؛ إيحاءً منهم واغترارًا بأحاديث مكذوبة، ولا يخفى أنَّ علي بن أبي طالب هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله بنص القرآن الكريم، قال تعالى في مباهلة النبي للنصارى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (٥٠)، وقد ذكر العلماء في مؤلفاتهم، والمفسرون في تفاسيرهم أنَّ النبي قد خرج للمباهلة هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين (٥١)، فقد عبَّر القرآن عن علي عليه السلام أنَّه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله.

فضلاً عن أنَّ أمثال تلك الأقاويل التي تحاول بكُلِّ طريقة إضعاف العلاقة الخاصة بين أمير المؤمنين والنبي من دون سواه من الصحابة، فلا يخفى أنَّ النبيَّ عندما آخى بين المهاجرين والأنصار، آخى بينه وبين علي بن أبي طالب من دون الصحابة كلهم، فلو كان ما تقدم من كلام للسيدة عائشة، ومن غرابة قول للرازي، لكان النبي آخى بينه وبين أبي بكر، وقد أتيا معًا إلى المدينة، قال ابن هشام: ((قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَآخَى رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وآله بَيْنَ أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ وَالْأَنْصَارِ فَقَالَ -فِيمَا بَلَغَنَا وَنَعُوذُ بِاللهِ أَنْ نَقُوْلَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْ-: تآخَوْا فِيْ اللهِ

أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِيْ طَالِبٍ، فَقَالَ: هَذَا أَخِيْ. فَكَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ سَيِّدُ الْمُرْسَلِيْنَ، وَإِمَامُ الْمُتَّقِيْنَ، وَرَسُوْلُ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، الَّذِيْ لَيْسَ لَهُ خَطِيْرٌ وَلَا نَظِيْرٌ مِنَ الْعِبَادِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِيْ طَالِبٍ «رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» أَخَوَيْنِ .... وَكَانَ أَبُوْ بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ «رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» ابْنُ أَبِيْ قُحَافَةَ وَخَارِجَةُ بْنُ زُهَيْرٍ أَخُوْ بَلْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ أَخَوَيْنِ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ «رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» وعِتْبَانُ بْنُ مَالِكٍ أَخُو بَنِيْ سَالِمِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ أَخَوَيْنِ ....)). (٥٢)

فأين تلك المعية التي يتحدث عنها الرازي؟!

فهل قرأ ما يقوله أمير المؤمنين ﷺ في إحدى خطبه عن حقيقة المعية للنبي: ((وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيْلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِيْ فِيْ كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَمًا، وَيَأْمُرُنِيْ بِالاقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِيْ كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِيْ، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُوْلِ اللهِ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» وَخَدِيْجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُوْرَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيْحَ النُّبُوَّةِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، فَقُلْتُ يَا رَسُوْلَ اللهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟؟ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلَكِنَّكَ لَوَزِيْرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ)) (٥٣)، فهل هناك معية أعظم من هذه المعية؟! وهل يمكن لأقوال الرازي وتفسيراته أنْ تمحي هذه الفضيلة؟!

وذكر الطبري فيما يتعلق بهذه المعية الحقيقية للنبي، ومقام علي بن أبي طالب الذي آخاه: ((عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِيْ طَالِبٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٥٤)، دَعَانِيْ

رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِيْ: يَا عَلِيُّ، إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُنْذِرَ عَشِيرَتِيْ الْأَقْرَبِيْنَ .... فَاصْنَعْ لَنَا صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِ رِجْلَ شَاةٍ، وَامْلَأْ لَنَا عُسًّا مِنْ لَبَنٍ، ثُمَّ اجْمَعْ لِيْ بَنِيْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى أُكَلِّمَهُمْ، وَأُبَلِّغَهُمْ مَا أُمِرْتُ بِهِ، فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ ثُمَّ دَعَوْتُهُمْ لَهُ، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُوْنَ رَجُلاً، يَزِيْدُوْنَ رَجُلاً أَوْ يَنْقُصُوْنَهُ، فِيهِمْ أَعْمَامُهُ أَبُوْ طَالِبٍ وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ وَأَبُو لَهَبٍ .... فَقَالَ: يَا بَنِيْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنِّيْ وَاللهِ مَا أَعْلَمُ شَابًّا فِي الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ بِأَفْضَلَ مِمَّا قَدْ جِئْتُكُمْ بِهِ، إِنِّيْ قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ أَمَرَنِيْ اللهُ تَعَالَى أَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ، فَأَيُّكُمْ يُؤَازِرُنِيْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَنْ يَكُوْنَ أَخِيْ وَوَصِيِّيْ وَخَلِيفَتِيْ فِيْكُمْ؟ قَالَ: فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ عَنْهَا جَمِيْعًا، وَقُلْتُ: وَإِنِّيْ لَأَحْدَثُهُمْ سِنًّا، وَأَرْمَصُهُمْ عَيْنًا، وَأَعْظَمُهُمْ بَطْنًا، وَأَحْمَشُهُمْ سَاقًا، أَنَا يَا نَبِيَّ اللهِ أَكُونُ وَزِيرَكَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَ بِرَقَبَتِي، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا أَخِيْ وَوَصِيِّيْ وَخَلِيفَتِيْ فِيكُمْ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوْا، قَالَ: فَقَامَ الْقَوْمُ يَضْحَكُوْنَ، وَيَقُوْلُوْنَ لِأَبِيْ طَالِبٍ: قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْمَعَ لِابْنِكَ وَتُطِيْعَ)). (٥٥)

* وذكر الفخر الرازي في الآية نفسها: ((وَالْوَجْهُ التَّاسِعُ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ نَهْيٌ عَنِ الْحُزْنِ مُطْلَقًا، وَالنَّهْيُ يُوْجِبُ الدَّوَامَ وَالتِّكْرَارَ، وَذَلِكَ يَقْتَضِيْ أَنْ لَا يَحْزَنَ أَبُوْ بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ الْبَتَّةَ، قَبْلَ الْمَوْتِ، وَعِنْدَ الْمَوْتِ، وَبَعْدَ الْمَوْتِ)). (٥٦)

وهذا كلام غريب جدًّا من الرازي في استدلاله، بل هي العصمة المطلقة لأبي بكر!! ولا أعلم لماذا لم يناقش أسباب حزنه، وهو الذي كان يبكي فرحًا بصحبة النبي كما روت السيدة عائشة؟!

وأذكر في المقام حديثًا واحدًا عن أبي بكر ذكره الأعلام يبيِّن بطلان ذلك النهي عن الحزن مطلقًا الذي يدَّعيه الرازي،

فقد اشتهر عنه قوله عند وفاته: ((أَمَا إِنِّيْ لَا آسَى عَلَى شَيْءٍ إِلَّا عَلَى ثَلَاثٍ فَعَلْتُهُنَّ، وَثَلَاثٌ لَمْ أَفْعَلْهُنَّ، وَثَلَاثٌ وَدَدْتُ أَنِّيْ سَأَلْتُ رَسُوْلَ الله ﷺ عَنْهُنَّ: وَدَدْتُ أَنِّيْ لَمْ أَكُنْ كَشَفْتُ بَيْتَ فَاطِمَةَ، وَأَنْ أُغْلِقَ عَلَيَّ الْحَرْبَ، وَدَدْتُ أَنِّيْ يَوْمَ سَقِيْفَةِ بَنِيْ سَاعِدَةَ كُنْتُ قَذَفْتُ الْأَمْرَ فِيْ عُنُقِ عُمَرَ أَوْ أَبِيْ عُبَيْدَةَ ....)). (٥٧)

فأين هذا القول مما يفسره الفخر الرازي؟

– المورد الخامس: النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام.

في هذا المورد سأحاول بإيجاز استعراض روايتين يستدعيان التأمل والتدبر والاستغراب فيما يتعلق بسيرة النبي ﷺ، فعلى الرغم مما ورد من العلاقة الوثيقة وشدة اتباع الإمام للنبي، فضلاً عن تربيته الإسلامية العظيمة، ولكن تبقى المشكلة قائمة في بعض تلك الروايات التي تتحدث عن السيرة، وهي في الوقت نفسه تخالف العقيدة.

١ – الرواية الأولى: إيذاء الإمام علي عليه السلام للنبي وفاطمة عليها السلام.

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنِ ابْنِ أَبِيْ مُلَيْكَةَ، عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، قَالَ: ((سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُوْلُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: إِنَّ بَنِيْ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُوْا فِيْ أَنْ يُنْكِحُوْا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِيْ طَالِبٍ، فَلَا آذَنُ، ثُمَّ لَا آذَنُ، ثُمَّ لَا آذَنُ، إِلَّا أَنْ يُرِيْدَ ابْنُ أَبِيْ طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِيْ وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ، فَإِنَّمَا هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّيْ، يُرِيبُنِيْ مَا أَرَابَهَا، وَيُؤْذِينِيْ مَا آذَاهَا)). (٥٨)

٢ – الرواية الثانية: شكوى فاطمة عليها السلام عليًّا عليه السلام.

أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا جرير بن حازم حدثنا عمرو بن سعيد قال: ((كَانَ فِيْ عَلِيٍّ شِدَّةٌ عَلَى فَاطِمَةَ. فَقَالَتْ: وَاللهِ لَأَشْكُوَنَّكَ إِلَى رَسُوْلِ الله ﷺ فَانْطَلَقَتْ

وَانْطَلَقَ عَلِيٌّ فِيْ إِثْرِهَا فَكَلَّمَتْهُ[٥٩] فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّةِ اسْمَعِيْ وَاسْتَمِعِيْ وَاعْقِلِيْ أَنَّهُ لَا إِمْرَةَ لِامْرَأَةٍ تَأْتِيْ هَوَى زَوْجَهَا وَهُوَ سَاكِتٌ. قَالَ الامام عَلِيٌّ عليه السلام: فَكَفَفْتُ عَمَّا كُنْتُ أَصْنَعُ، وَقُلْتُ: وَاللهِ لَا آتِيْ شَيْئًا تَكْرَهِيْنَهُ أَبَدًا)). [٦٠]

من خلال الاطلاع على ما ورد من سيرة الإمام علي عليه السلام وفاطمة ضمن حياة النبي صلى الله عليه وآله في هاتين الروايتين بالخصوص، يمكن بيان ما يأتي:

* فيما يتعلق بالرواية الأولى فالراوي هو المسور بن مخرمة، وإنَّ سيرته لا يمكن أنْ توحي إلى صدق ما سمعه منه، ويمكن للباحث معرفة ذلك بالاطلاع عليها. [٦١]

* إنَّ فيها ما يخالف سيرة النبي صلى الله عليه وآله حيث يقف على المنبر فيتحدث في هذا الأمر المتعلق بابنته، من حيث إنَّها ابنته فقط!!

* إنَّ سيرة الإمام علي عليه السلام مع السيدة فاطمة عليها السلام تخالف ذلك تمامًا، حيث الوئام والمحبة التامة فيما بينهما، فمما ورد في ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله مخاطبًا السيدة فاطمة عليها السلام: ((والذي بعثني بالحق لقد زوجتك سيدًا في الدنيا، وسيدًا في الآخرة، لا يبغضه إلا كل منافق)) [٦٢] ففي الرواية ما يوحي إلى أنَّ الإمام عليًّا عليه السلام قد آذى النبي الاعظم صلى الله عليه وآله فاضطر إلى إعلان ذلك على منبر المسلمين!! وخصوصًا أنَّه يردد ثلاث مرات (فلا آذَنُ، ثُمَّ لا آذَنُ، ثُمَّ لا آذَنُ)!! وهل عدم إذنه فيه مخالفة للحكم الشرعي في إباحة الزواج؟!!

وهل يشترط أنْ يطلق الرجل زوجته الأولى ليتزوج بالمرأة الثانية؟!!

أو هل أهذه الأحكام لا تنطبق على أهل بيت النبي الاعظم صلى الله عليه وآله، فكُلُّ ذلك وغيره مما ورد في سيرته يخالف تمامًا العقيدة والشريعة!!

* ويمكن في الرواية الثانية قراءة ما يأتي:

١- بيان أنَّ عدم الوئام بين الإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في البيت مسألة ظاهرة، وهذا الأمر يدل على أنَّ هذا البيت ليس بيتًا مقدَّسًا ذا مقام عظيم، كما يُراد أنْ يفهم من مقامها العظيم، بل هو بيت حاله حال أي بيت، فيه من المشاكل العائلية التي تحدث في أي بيت، وهذا يظهر من القول ((فَانْطَلَقَتْ وَانْطَلَقَ عَلِيٌّ عليه السلام فِيْ إِثْرِهَا))، وألفاظ أخرى في الرواية.

٢- تظهر الرواية أنَّ السيدة الزهراء عليها السلام قد شَكَتْ الإمام عليٍّ عليه السلام، وهذا يعني أنَّه ليس أبو بكر وعمر قد غضبت عليهما السيدة فاطمة عليها السلام فقط، بل علي كذلك، ومن ثم فغضبها هو غضب الله (عزوجل)، وفي ذلك إرادة النيل من مقام الإمام علي عليه السلام!!

٣- إنَّ الرواية تبيِّن أنَّ السيدة الزهراء عليها السلام لم تكن في مقام سيدة النساء حيث شكواها زوجها، وكان المفروض التسامح والتعاون مع الزوج، أو الصبر على أذاه!!

٤- إنَّ إصرار السيدة فاطمة عليها السلام على الشكوى، وخروجها غاضبة، والإمام علي عليه السلام يخرج بعدها، يدل على أنَّها خرجت من غير إذن زوجها، وهذا فيه دلالة على مدى ظلمها من جهة، وعدم الالتزام بشرعية إذن الزوج في الخروج.

٥- إنَّ الرواية تحاول بيان مدى الأذى والظلم الذي أصاب السيدة فَاطِمَةَ عليها السلام من زوجها، إذ إنَّها تقسم بالله تعالى على أنَّها ستشكيه أباها خاتم النبيين فأقسمت بلفظ الجلالة (واللهِ)، وأكدت قسمها باللام ونون التوكيد (لَأَشْكُوَنَّكَ)، وفي كُلِّ ذلك يظهر مدى أذاها، وهذه الجملة تذكِّرنا بخطابها لأبي بكر

وعمر عندما أتوا لزيارتها في مرضها، وقد دارت بوجهها إلى الحائط وقالت: ((واللهِ لَأَشْكُوَنَّكُمَا))!!

٦- إنَّ الرواية تحاول بيان أنَّ الإمام علي عليه السلام كان يؤذي زوجته في مرات متعددة، وهذا ما يمكن قراءته في الرواية نسبة القول إليه: (قَالَ عَلِيٌّ: فَكَفَفْتُ عَمَّا كُنْتُ أَصْنَعُ).

٧- إنَّ الرواية تحاول بيان أنَّ هذه الشكوى من السيدة فَاطِمَةَ عليها السلام على زوجها كانت حقًّا، والإمام قد ظلمها فعلًا، بل يعترف بذلك، ويندم على فعله هذا، وهذا ما نراه في القول: (وَقُلْتُ: وَاللهِ لَا آتِيْ شَيْئًا تَكْرَهِيْنَهُ أَبَدًا).

وغير ذلك مما يمكن بيانه في قراءة تأملية لأمثال هذه الروايات الغريبة، الواضحة الأهداف والغايات!!

ولا يخفى على الباحث بعد كُلِّ ما تقدم أنَّ الرواية تصف بيتًا قد أذهب الله عن أهله الرجس وطهرهم تطهيرًا!! وأنَّ هذا البيت الذي كان النبي صلى الله عليه وآله يقول فيه كما ورد عن أنس بن مالك ((إِنَّ رَسُوْلَ اللهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يَمُرُّ بِبَابِ السيدة فَاطِمَةَ عليها السلام سِتَّةَ أَشْهُرٍ إِذَا خَرَجَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ يَقُوْلُ: الصَّلَاةَ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ ﴿إِنَّمَا يُرِيْدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيْرًا﴾(٦٣))).(٦٤)

وإنَّ هذا البيت هو كما روي عن أنس بن مالك وبريدة قال: ((قَرَأَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وآله هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فِيْ بُيُوْتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيْهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (٦٥) فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: أَيُّ بُيُوْتٍ هَذِهِ يَا رَسُوْلَ اللهِ؟ قَالَ: بُيُوْتُ الْأَنْبِيَاءِ. فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُوْ بَكْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ هَذَا الْبَيْتُ مِنْهَا؟ الْبَيْتُ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ. قَالَ: نَعَمْ، مِنْ أَفَاضِلِهَا)).(٦٦)

ختامًا أقول: إنَّ الإمام علي ﷺ الذي كانت له تلك المواقف العظيمة في الدفاع عن الإسلام، وعدم المداهنة من أجل المصلحة الشخصية، ووقوفه تجاه الباطل الذي صدر من الصحابة بكُلِّ أنواعه بعد وفاة النبي ﷺ، وخصوصًا يوم الشورى عندما رفض قبول البيعة مقابل العمل بسيرة الشيخين، وما كان من موقفه العظيم تجاه الناكثين والقاسطين وقادتها، وغيره من المواقف وجب عليه أنْ يدفع ثمنها في التأريخ المزيَّف، فكان مثل تلك الروايات وغيرها.

وأمَّا الزهراء وما قامت به من مواقف ضد القوم من وقوفها بعد يوم السقيفة وبيان بطلان ما ذهبوا إليه في الخلافة، وغضبها على الشيخين ودعائها عليهما، والوصية بعدم حضورهما جنازتها، وغير ذلك، فعليها أنْ تدفع ثمن ذلك من خلال تلك الروايات وغيرها.

إنَّ هذه القراءة الموجزة للموارد الخمسة في البحث على وفق السيرة والعقيدة تبيِّن لنا جليًّا أهمية دراسة السيرة دراسة تأملية، ومناقشة تلك الروايات التي فيها ما يسيء أو يخالف العقيدة، فأرجو من الباحثين اعتماد هذا المنهج حفاظًا على سيرة المعصومين ﷺ، وبيان تلك الثغرات التي كتبها أصحاب الأهواء في التأريخ، اللهم فتقبل ذلك بأحسن قبولك، وأعوذ بك من كُلِّ زلة وعثرة.

١) سورة النساء: الآية ٥٩.

٢) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

٣) الأصول العامة للفقه المقارن، السيد محمد تقي الحكيم ص١٢٢.

٤) ينظر: النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، الشيخ مقداد بن عبد الله السيوري ص١٧٦، عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر ص٧١-٧٢.

٥) وسائل الشيعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي ١/ ٤٦٧، باب (كراهة استرضاع الحمقاء والعمشاء)، الحديث ١.

٦) المصدر نفسه. الحديث ٦.

٧) شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، الشيخ جعفر بن الحسن المحقق الحلي ٢/ ٥٧٠.

٨) المصدر نفسه.

٩) سورة القصص: الآية ١٢.

١٠) السيرة النبوية ١/ ١٨٤-١٨٦.

١١) السيرة النبوية ١/ ١٨٦.

١٢) المصدر نفسه.

١٣) أي متغيرٌ لونه من هَمٍ أو فزعٍ. لسان العرب، ابن منظور مادة (نقع).

١٤) السيرة النبوية ١/ ١٨٩-١٩٠.

١٥) إشارة إلى قوله تعالى في دعوة إبراهيم ﷺ: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. سورة البقرة: الآيتان ١٢٨-١٢٩.

١٦) إشارة إلى قوله تعالى في دعوة عيسى ﷺ قومه: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ إِنِّيْ رَسُوْلُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُوْلٍ يَأْتِيْ مِنْ بَعْدِيْ اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوْا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾. سورة الصف: الآية ٦.

١٧) السيرة النبوية ١/ ١٩١.

١٨) سورة آل عمران: الآية ٣٣.

١٩) نهج البلاغة، الشريف الرضي ٢/ ١٥٧.

٢٠) النَّمَطُ ضَرْبٌ مِنَ الْبُسُطِ، وَالْجَمْعُ أَنْمَاطٌ. لسان العرب، ابن منظور مادة (نمط).

٢١) الغَتُّ العَصْرُ الشَّدِيْدُ، قال ابن منظور: ((وفي حديث المَبْعَث فأَخَذَني جبريلُ فغَتَّني، الغَتُّ والغَطُّ سَوَاءٌ كَأَنَّهُ أَرَادَ عَصَرَنِيْ عَصْرًا شَدِيْدًا حَتَّى وَجَدْتُ مِنْهُ المَشَقَّةَ، كَمَا يَجِدُ مَنْ يُغْمَسُ فِي الْمَاءِ قَهْرًا، وَغَتَّهُ خَنِقًا يَغُتُّهُ غَتًّا عَصَرَ حَلْقَه نفسًا أَوْ نَفَسَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ)). مادة (غتت).

٢٢) سورة العلق: الآيات ١ – ٥.

٢٣) السيرة النبوية ١/ ٢٦٧-٢٦٩.

٢٤) السيرة النبوية ١/ ٢٦٩.

٢٥) المصدر نفسه.

٢٦) السيرة النبوية ١/ ٢٧٠-٢٧١.

٢٧) المسند الصحيح، مسلم النيسابوري ٤/ ١٨٦٦ باب (من فضائل عثمان بن عفان).

٢٨) الجامع المسند الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري ١/ ٦٢ باب (إذا جامع ثم عاد، ومن دار على نسائه في غسل واحد).

٢٩) المصدر نفسه.

٣٠) السيرة النبوية ١/ ١٩٢. عنوان (سبب آخر لرجوع حليمة به ﷺ إلى مكة).

٣١) الجَفْرُ الصَّبِيُّ إِذَا انْتَفَخَ لَحْمُهُ وَأَكَلَ وَصَارَتْ لَهُ كَرْشٌ. لسان العرب مادة (جفر).

٣٢) السيرة النبوية ١/ ١٩٤. عنوان (إجلال عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَهُ ﷺ).

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: ((كان عبد المطلب يُفْرَشُ له بفناء الكعبة لا يُفْرَشُ لأحدٍ غيره، وكانَ له ولدٌ يقومون على رأسه فيمنعون مَنْ دَنَا منه، فجاء رسول الله ﷺ وهو طفل يدرجُ حتى جلس على فخذيه، فأهوى بعضهم إليه لينحِّيه عنه، فقال عبد المطلب: دَعِ ابني فإنَّ المُلْكَ قد أتاهُ)). الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني ١/ ٤٤٨ كتاب (الحَجة)، باب (مولد النبي ﷺ ووفاته)، الحديث ٢٦.

٣٣) السيرة النبوية ١/ ٢١٦. عنوان (ورقة يتنبأ له ﷺ بالنبوة).

٣٤) المصدر نفسه ١/ ٢٣٠-٢٣١. عنوان (الكهان والأحبار والرهبان يتحدثون بمبعثه).

٣٥) نهج البلاغة ٢/ ١٥٧.

٣٦) الكافي ١/ ٤٤٧ كتاب (الحجة)، باب (مولد النبي ﷺ ووفاته)، الحديث ٢٤.

٣٧) السيرة النبوية ٢/ ١٢٦.

٣٨) أي نصف النهار عند اشتداد الحر. لسان العرب مادة (هجر).

٣٩) السيرة النبوية ٢/ ١٢٦.

٤٠) التفسير الكبير، محمد بن عمر الفخر الرازي ١٦/ ٥٢.

٤١) المصدر نفسه ١٦/ ٥٣.

٤٢) التفسير الكبير ١٦/ ٥٣.
٤٣) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي ٥/ ١٢٦ باب (ومن سورة التوبة)، ومن لطيف الاتفاق أنَّ هذه السورة – براءة– هي نفسها التي يَدَّعي فيها ما يَدَّعي الفخر الرازي في اختصاص أبي بكر المعية!!
٤٤) المصدر نفسه، الحديث ٣٠٩١، وينظر: مسند أحمد، أحمد بن حنبل ١/ ١٦٨ مسند (أبي بكر الصديق).
٤٥) سنن الترمذي ٥/ ٧٠٥ باب (من فضل عائشة).
٤٦) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ٤/ ١٢.
٤٧) سورة التوبة: الآية ٤٠.
٤٨) التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن ٥/ ٢٢٣.
٤٩) التفسير الكبير ١٦/ ٥١.
٥٠) سورة آل عمران: الآية ٦١.
٥١) ينظر: تفسير الكشاف، محمود بن عمر الزمخشري ١/ ٣٩٦، التفسير الكبير ٨/ ٢٤٧، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي ٢/ ٢٣٢
٥٢) السيرة النبوية ٢/ ١٤٦-١٤٧.
٥٣) نهج البلاغة ٢/ ١٥٧-١٥٨.
٥٤) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.
٥٥) تاريخ الرسل والملوك ٢/ ٣١٩-٣٢١.
٥٦) التفسير الكبير ١٦/ ٥٢.
٥٧) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ١/ ٦٢، تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن عساكر ٣٠/ ٤١٨، تاريخ الإسلام محمد بن عثمان الذهبي ٢/ ٦٠.
٥٨) الجامع المسند الصحيح ٧/ ٣٧ باب (ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف)، المسند الصحيح ٤/ ١٩٠٢ باب (فضائل فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام)، فضائل فاطمة، ابن شاهين ص٣٤، الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة، جلال الدين السيوطي ص٦٧.
٥٩) أي كَلَّمَتْ فاطمة أباها النبي ﷺ.
٦٠) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد ٨/ ٢٦.
٦١) أبو عبد الرحمن بن نوفل القرشي الزهري، أمه الشفاء بنت عوف أخت عبد الرحمن بن عوف، ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين، وقدم به أبوه المدينة في عقب ذي الحجة سنة ثمان، وقبض

النبي ﷺ والمسور ابن ثماني سنين، لم يزل مع خاله عبد الرحمن بن عوف مقبلاً ومدبرًا في أمر الشورى، وبقي بالمدينة إلى أنْ قتل عثمان، ثم انحدر إلى مكة، فلم يزل بها حتى توفي معاوية، فلم يزل بمكة حتى قدم الحصين بن نمير مكة لقتال ابن الزبير وذلك في عقب المحرم أو صدر صفر وحاصر مكة، وفي حصاره ومحاربته أهل مكة أصاب المسور حجر من حجارة المنجنيق وهو يصلي في الحجر فقتله، وذلك مستهل ربيع الأول سنة أربع وستين، وصلى عليه ابن الزبير بالحجون توفي وهو ابن اثنتين وستين سنة. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله القرطبي ٣/ ١٣٩٩.

٦٢) فضائل فاطمة ص٢٧.

٦٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

٦٤) المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٧٢.

٦٥) سورة النور: الآية ٣٦.

٦٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦/ ٢٠٣.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

*الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، تحقيق: علي محمد البجاوي، (دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م).

*الأصول العامة للفقه المقارن، السيد محمد تقي الحكيم (ت١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، (بيك فدك، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، د.م).

*تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، (دار المغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م، د.م).

*تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر (ت٥٧١هـ/ ١١٧٦م)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، (دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥، د.ط).

*تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ/ ٩٩٢م)، (دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ).

*التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ).

*الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، تحقيق ودراسة: الدكتور عبد الحكيم الأنيس، (الناشر: دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي، ط١، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م، د.مط).

*الجامع الكبير (سنن الترمذي)، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): تحقيق: د. بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م).

*الجامع المسند الصحيح، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)، تحقيق: محمد زهير الناصر، (دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، د.م).

*الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، (دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت).

*السيرة النبوية، جمال الدين أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري المعارفي (ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، تعليق: الأستاذ الدكتور عمر عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م).

*شرائع

الإسلام في مسائل الحلال والحرام، الشيخ جعفر بن الحسن المحقق الحلي (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، تحقيق: السيد صادق الشيرازي، (مط أمير، قم، ط٢، ١٤٠٩هـ).

*الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)، تحقيق: إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م).

*عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر (ت١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م)، تحقيق: عبد الكريم الكرماني، (مؤسسة الرافد، بغداد، ٢٠١١م، د.ط).

*فضائل فاطمة، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أيوب بن شاهين (ت٣٨٥/ ١٠٩٢م)، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، (مكتبة التوعية الإسلامية، مصر، ط٢، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م).

*الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ/ ٩٤١م)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ).

*الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الكشاف)، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٢١هـ ٢٠٠١م).

*المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ/ ١٠١٥م)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م).

*مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م).

*المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم «صحيح مسلم»، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/ ٨٧٥م)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت).

*المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ/ ٩٧١م)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، (الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، د.مط).

*مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، تصحيح: مجموعة دار إحياء التراث العربي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م).

*النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي

عشر، الشيخ مقداد بن عبد الله السيوري ت٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م)، تحقيق وتقديم: الدكتور مهدي محقق، (مؤسسة جاب، مشهد، ١٣٧٤ش، د.ط).
*نهج البلاغة، محمد بن الحسين الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ / ١٠١٥م)، شرح: الشيخ محمد عبده، (مط النهضة، قم، ط١، ١٤١٢هـ).
*وسائل الشيعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤هـ/ ١٦٩٣م)، تحقيق: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، (مط مهر، قم، ط٢، ١٤١٤هـ).

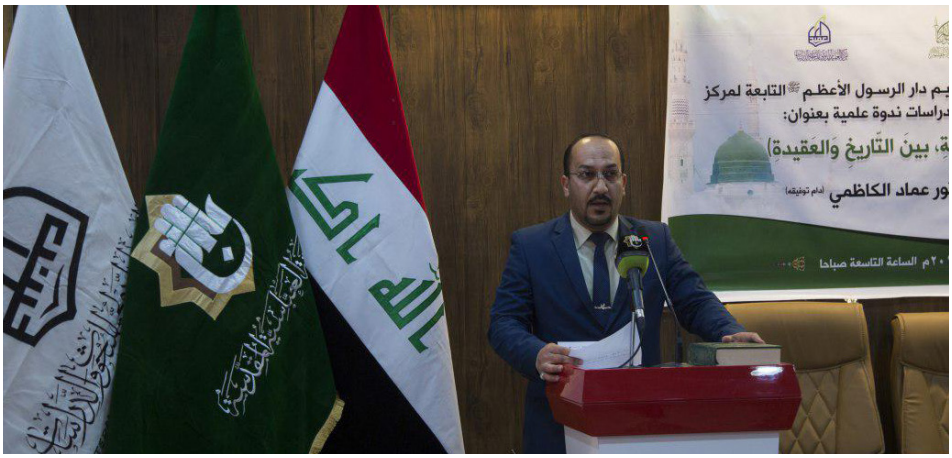
بم دار الرسول الأعظم ﷺ التابعة لمركز
دراسات ندوة علمية بعنوان:
ة، بين التّاريخ والعَقيدة)
ور عماد الكاظمي أدام توفيقه)
٢٠م الساعة التاسعة صباحا

يوم الجمعة الموافق ٢٠١٩/٣/٨م الساعة التاسعة صباحا

يوم الجمعة الموافق ٢٠١٩/٣/٨م

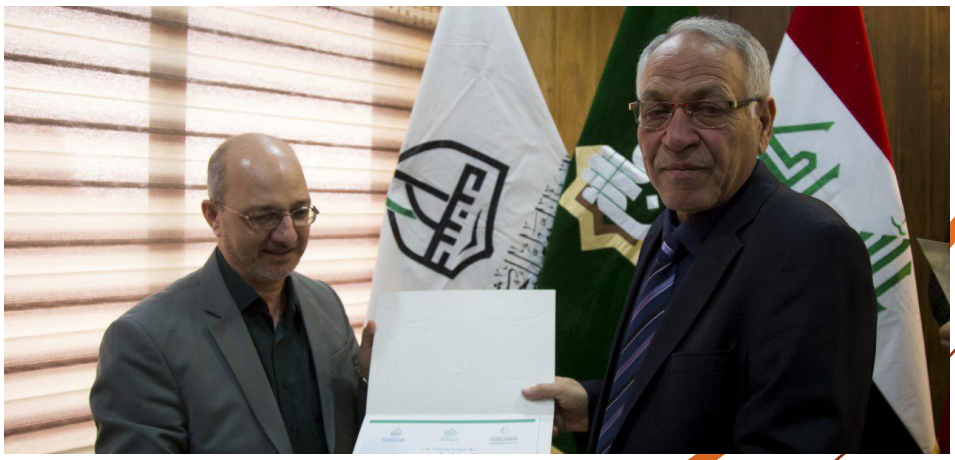

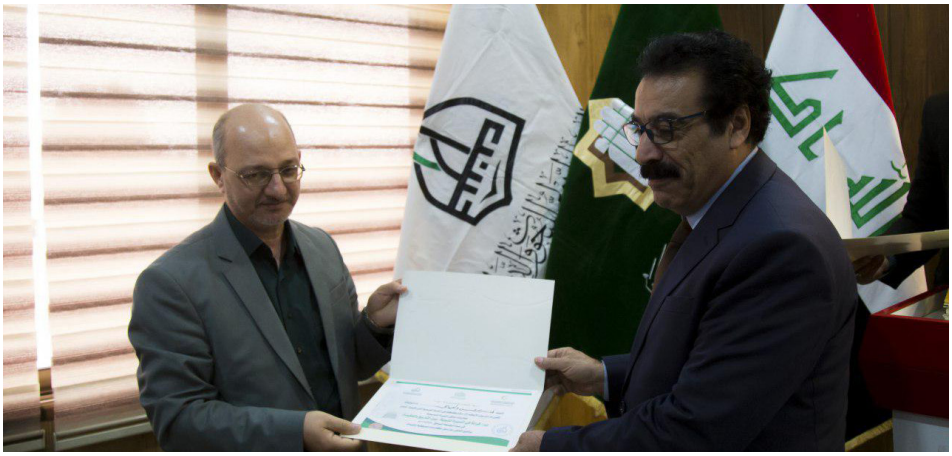

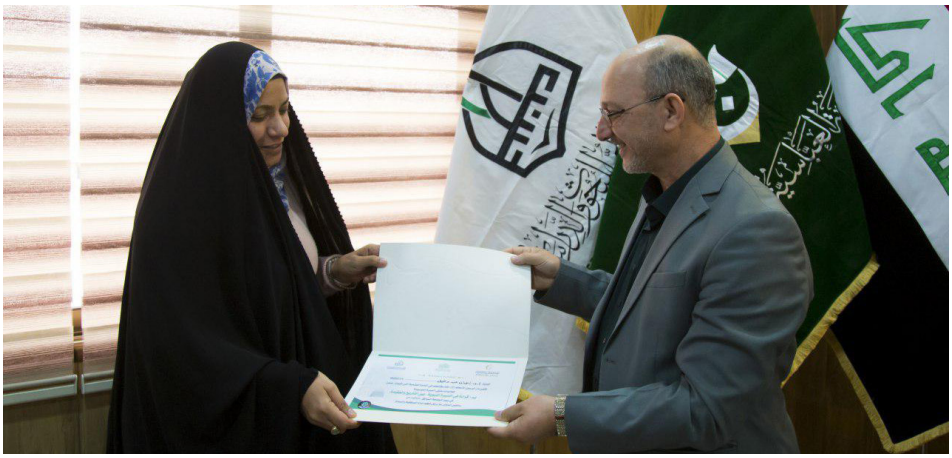

٢
الندوة الثانية

- الإسرائيليات في كتب السيرة النبويّة الشريفة_دراسة تاريخية في الدلالة والأثر_
- د. كريم مظهر العميري
- على قاعة مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات
- يوم الجمعة الموافق 2019/7/5م

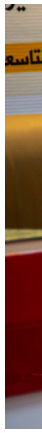

أولاً : التعريف بالإسرائيليات ونَقَلتها :

الإسرائيليات: هي جمع لمفردة (إسرائيلية)، وتعني النسب إلى (إسرائيل)، وهو الاسم الذي أُلحِقَ بالنبي يعقوب ﷺ، ذلك على ماجاء في كتب أهل الكتاب، ومنها: « وتراءى الله ليعقوب أيضاً حين جاء من سهل آرام وباركه وقال له: اسمك يعقوب، لا يُذكر اسمك يعقوب بعد الآن يعقوب، بل إسرائيل، لأنّكَ غالبت الله والناس وغلبت»[١]، ومعنى إسرائيل هنا هو (صارع الرب)، فهي في الأصل العبري (إسرا، إيل) وتعني (صارع الرب)[٢] .

وبصرف النظر عن تهافت هذا المعنى، يبدو أن ما ورد عن وهب بن منبه في هذا الشأن هو الأصوب، يقول: « ويعقوب هو إسرائيل، ومعنى إسرائيل باللسان السرياني: ولي الله، فمعنى إسرا: ولي ومعنى إيل: الله »[٣] .

وقد جاء في القرآن الكريم ما يفيد أنّ هذه الكلمة هي اسم لنبي من ذرية إبراهيم ﷺ، بقوله تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إبراهيم وَإِسْرَائِيلَ ﴾[٤] .

وأما دلالة هذا المصطلح في كتب التاريخ الإسلامي، وعن طبيعة المادة التاريخية التي صار يصطلح عليها بهذه التسمية، فهي لا تتحدد بالروايات والنصوص التاريخية الحاملة للأثر اليهودي فحسب، بل تشمل النصرانية منها أيضاً، والشيء الأهم هنا هو أن هذا المعنى لا يقف عند حدود المنقول من كتب أهل الكتاب أو مما له نص مقارب فيها، بل ينصرف إلى الخبر والرواية أو الحديث المختلق والمدسوس في مصادرنا التاريخية الإسلامية، والذي يحمل (في المتن أو السند) دالة على إسرائيليته .

وعلى هذا يصح تقسيم الإسرائيليات على

النحو الآتي:

١. إسرائيليات نقلية: وهي النصوص التاريخية المذكورة في الكتب الإسلامية والتي لها ما يقابلها – نصاً أو مضموناً – في كتب اليهود أو النصارى، وهذه في الغالب تتمثل في القصص، والأساطير، والأنساب، وبعض أخبار أنبياء أهل الكتاب.

٢. إسرائيليات عقائدية: وهذه المتمثلة بالروايات والأحاديث المزعومة العقائدية المضمون، والتي لها جذر كتابي – يهودي أو نصراني –، أو أنّ راويها أحد نقلة الإسرائيليات، مثل الروايات التي تفيد بالتجسيم أو التشبيه، أو الجبر أو غير ذلك.

٣. إسرائيليات إخبارية مُختلقة ومدسوسة: وهذه في الغالب تتمثل بما تقوّله هؤلاء النقَلة الرواة على شخص الرسول ﷺ من افتراءات وإساءات ضمنية مدسوسة، وما أرادوا به تشويه وتحريف العقيدة الإسلامية بشكل عام، وهذا النوع تحديداً يمثل الحلقة الأخطر في هذا الموضوع، كونه يكشف ويعبّر عن مشروع تخريبي يهودي إسرائيلي منظّم ومبكّر في التاريخ الإسلامي، وهو على غير شاكلة النوعين السابقين من حيث النوايا والأهداف، إذ لا يمكن الجزم هناك بالتخطيط التخريبي السابق لبثها على خلاف أمرها هنا، ولعلّ ابن كثير (ت٧٧٤هـ) أشار إلى شيء من هذا الأمر بتقسيماته للإسرائيليات على النحو الآتي:

أ. ما علمنا صحته مما بين أيدينا، ويشهد له بالصدق .

ب. ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه.

ت. ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا

من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه[٥] .

-العوامل التي ساعدت على دخول الإسرائيليات لكتب التاريخ الإسلامي:

١. منع تدوين السيرة والحديث النبويّ:

لا خلاف في موضوع منع تدوين السيرة والحديث عقب وفاة الرسول ﷺ، والذي استمر – ماخلا حقبة خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى نهاية القرن الأول الهجري، حين التفت الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) إلى خطورة هذا العمل، وكتب إلى عامله على المدينة أبي بكر محمد بن عمر بن حزم: « أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ وسنته فاكتبه فإنّي خفت دروس العلم وذهاب العلماء »[٦]، وأما ما دوّنه بعضهم سرّاً، فظلَّ – وعلى ندرته – لا يشكل مادة تاريخية متكاملة، فمثلاً يذكر ابن سعد عن هشام بن عروة بن الزبير قوله: « أحرق أبي يوم الحرّة كتب فقه كانت له، قال: فكان يقول بعد ذلك: لأن كانت عندي أحبُّ إليَّ أن يكون لي مثل أهلي ومالي»[٧]، وهذا النَص يبين جانباً من حالة الخوف عند هذا المؤرخ، فيما لو فشا أمر هذه الصحف، مما دعاه إلى إحراقها .

وهكذا ظلت أخبار السيرة النبويّة الشريفة والأحاديث الشريفة قيد هذا الفراغ التاريخي وعلى ذمة الرواية الشفهية والذاكرة وحدها، وعلى مصداقية الراوي الذي تعاقب دوره على هذه الروايات لأربعة أجيال، فضلاً عن أثر الأحداث السياسية الساخنة جداً يومذاك على هذه المادة التاريخية المهمة، وانعكاسها بشكل مباشر وكبير على تحريف الكثير من الحقائق، حتى

إن جهود البحث التاريخي في هذا الميدان كشفت، كيف أنّ عملية اختلاق الخبر أو الحديث صارت يومذاك وسيلة من وسائل التقرب إلى السلطة . وإزاء هذا الوضع كله وجدَ نقلة الإسرائيليات والوضّاعون الآخرون طريقاً سالكاً وسهلاً لدس ما يريدون دسّه وتمريره نحو الرواة والمؤرخين المدوّنين الأوائل، ولعل من هؤلاء المؤرخين مَن وجد في هذه المادة التاريخية المروية شيئاً من الجاذبية والجمال أو اعتقد أنها الصواب واليقين لا غير.

٢. الثقافة الشعبية الكتابية وشيوعها في المجتمع الإسلامي قبل الإسلام وبعده:

يُطلعنا القرآن الكريم ابتداءً، والمصادر التاريخية من بعده على معرفة العرب قبل الإسلام بالأساطير والقصص اليهودية والنصرانية . وعلى شيوعها بينهم وتشوقهم إليها أحياناً، فهي كانت تجري عندهم مجرى الحكايات الشعبية المستملحة، والله جلَّ وعلا في عرضه لأقوال أهل الجاهلية على ما جاء به الرسول ﷺ من الحق، يقول: ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[٨] . وأما أهل التاريخ فلعلَّ ابن خلدون أجمل أقوالهم في هذا الشأن، بقوله: « إنَّ العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، فإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تشوقت إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدون منهم، وهم أهل التوراة ومن تبع دينهم من النصارى »[٩] .

هذا ويذكر أنّ القصاصين جلسوا للقص في مسجد رسول الله ﷺ من عهد الخليفة الثاني عمر بن

الخطاب، حين استأذنه تميم الداري يقص في المسجد فأذن له[١٠]، وقد طردهم الإمام علي ﷺ من المسجد، وأعاد معاوية بن أبي سفيان القص في المساجد، وأجلس عبيد بن شريه الجرهمي وغيره لهذه المهمة مدة طويلة، ولعبيد بن شريه هذا كتاب في هذه القصص عنوانه (كتاب الملوك وأخبار الماضين)[١١].

من هذا كله يمكن أن نتبين حجم استشراء هذه الثقافة الإسرائيلية الكتابية الشائعة بين المجتمع العربي آنذاك، وأثرها فيهم، وأنّ نتصور مدى انعكاس هذه الثقافة على طبيعة العلاقة بين المسلمين الأوائل وأهل الكتاب، وكيف أنهم ظلوا يقدّمون (مسلمة أهل الكتاب) ويسمعون منهم ويحترمونهم بشكل خاص، لأنهم أهل كتاب سابق وعلم لا غير، ولأن نوايا هؤلاء المسلمين سليمة، بدلالة أنهم ظلوا يطلقون على بعض هؤلاء المسلمة كلمة (الحبر)، والتي تعني عند اليهود (العالم)، مثل تسمية (كعب الأحبار)، ومن هؤلاء المسلمة من ظلَّ يُعرف بلقبه اليهودي مثل (محمد بن كعب القرظي).

٣. المخطط اليهودي لمحاربة الإسلام فكرياً وعقائدياً:

أفادنا القرآن الكريم في أكثر من آية كريمة ببيان الموقف العدائي لليهود ضد الإسلام والمسلمين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾[١٢]، وقوله الكريم: ﴿ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[١٣]، وهذه الآيات تشير بوضوح إلى عداوة شديدة في صدور هؤلاء اليهود الذين عاصروا صدر الرسالة وتقاتلوا وغدروا بالمسلمين ونبيهم ﷺ أكثر من مرة، وإن طائفةً أو فريقاً منهم ظلّوا يودون أن يوقعوا بالمسلمين ويضلوهم عن دينهم،

ومن هنا ابتداءً يمكن التأسيس للقول بوجود مخطط يهودي فكري منظّم لمحاربة الإسلام، سيما بعد هزيمة اليهود في خيبر (٧هـ)، وقناعتهم التامة بعدم قدرتهم على مواجهة المسلمين عسكرياً . وقد أثبتت كثير من النصوص التاريخية المبثوثة في كتب التاريخ الإسلامي وكتب الحديث والتفسير أيضاً صحة هذا القول، وبيّنت من خلال أسانيدها ومتونها تورط بعض من (مسلمة أهل الكتاب) بالتخطيط لهدم الإسلام هدماً فكرياً وعقائدياً، وعلى ما سيتبين لاحقاً .

- نَقَلة الإسرائيليات الأوائل :

١. عبد الله بن سلام (ت٤٣هـ):

هو الحصين بن سلام بن الحارث، أحد يهود بني قينقاع وأحد سادات وأحبار يهود يثرب، أسلم أول هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة، وقد أفرد ابن هشام في السيرة عنواناً خاصاً له (إسلام عبد الله بن سلام) (١٤)، ويذكر الذهبي أنّ الرسول ﷺ أبدل اسمه وسمّاه (عبدالله)(١٥)، وعن قصة إسلامه المبكر هذا ينقل ابن إسحاق حديثاً - عن بعض أهله – عنه يقول فيه: " لما سمعت برسول الله ﷺ عرفتُ صفته واسمه وزمانه الذي كنّا نتوكف له، فكنت مسرّاً لذلك صامتاً عليه، حتى قَدِم رسول ﷺ المدينة، ... فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي، وأمرتهم فأسلموا، قال: وكتمت إسلامي من يهود ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فقلت له: إن يهود قوم بُهت، وإنّي أحب أن تدخلني في بعض بيوتك، وتغيبني عنه، ثم تسألهم عني، ... قال: فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته، ودخلوا عليه فكلّموه وسائلوه، ثم قال لهم: أي رجلٍ الحصين

بن سلام فيكم ؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وعالمنا، قال: فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم: يامعشر يهود اتقوا الله وأقبلوا ما جاءكم به ... فقالوا كذبت ثم وقعوا بي ... "[١٦].

والحقيقة أنّ التبصر في هذه الرواية (القصّة) يفضي إلى أكثر من استفهام، فهي من جهة السند رواها ابن إسحاق بسند ضعيف بقوله (حدثني بعض أهله عنه)، ومن جهة المتن وتفاصيل الكلام فيه، فالغرابة قائمة من أول الرواية وتنم بتدبير هذا الأمر بين هذا الرجل وقومه اليهود، وإلا ما تفسير أن يدخل هذا الحبر اليهودي السيد بين قومه الإسلام من أول يوم قدوم الرسول ﷺ إلى المدينة ؟ أليس من الطبيعي أن يتروّى ويتحقق من الأمر أولاً ؟ وما معنى أن يطلب من الرسول ﷺ أن يغيّبه في أحد بيوته ! ومن ثم يأتي دور اليهود ويجري الرسول ﷺ عليهم الاختبار كما ورد في تفاصيل الرواية ...، إن مثل هذه الأمور الغامضة والغريبة تحمل أي باحث تاريخي على الشك والتحليل والاستنتاج لكن المصادر التاريخية التي تجاوزت الكثير من هذا القبيل ومضت في سرد هذه الرواية دون أي تعقيب، بل إنّ شخصية عبد الله بن سلام صارت تحظى في بعض المصادر بالثناء والإطراء [١٧].

ومن آراء الباحثين في (عبد الله بن سلام) يقول صاحب كتاب (تدوين السنة) : « انتقلت عقيدة التجسيم إلى الإسلام عن طريق اليهود الذين أسلموا ... أمثال عبد الله بن سلام ....»[١٨]، ويقول صاحب موسوعة الإسرائيليات«... إنّ الروايات الإسرائيلية تأتي في الغالب من طريق أشخاص بأعيانهم، وقد عدّهم العلماء أقطاباً للروايات الإسرائيلية، وهؤلاء هم: عبدالله بن

سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبّه»[١٩] .

٢. تميم الداري (ت٤٠هـ):

هو تميم بن اوس بن خارجة الداري من لخم كان على النصرانية وأسلم سنة تسع للهجرة، حين وفد على الرسول ﷺ مع وفد الداريين، وقد ارتبط خبر أول إسلامه أيضاً بمقولة غريبة، إذ يروي الذهبي وغيره أن تميم قال لرسول الله ﷺ: "يارسول الله، إنّما الله مُظهرك على الأرض كلها، فهب لي قريتي من بيت لحم، قال: (هي لك)، وكتب له بها"[٢٠]، وأما الشيء الآخر الذي ارتبط ذكره تاريخياً بذكر تميم الداري فهي قصة (الجساسة والدجال)، التي ذكرها أكثر من مؤرخ وعلق عليها أكثر من باحث، ولعلها من الغرابة والتفرد ما يلزم ذكره لاحقاً ويكفي القول هنا إنّ المؤرخ المسعودي (ت٣٤٦هـ) قال فيها: إنها" لاحقة بالإسرائيليات من الأخبار "[٢١] .

٣. كعب الأحبار(ت٣٢هـ، وفي رواية ٦٢هـ):

هو كعب بن ماتع الحميري من آل رعين من اليمن، كان على اليهودية وأسلم بعد زمن خلافة عمر بن الخطاب، وسكن المدينة ثم خرج منها إلى الشام وسكنها حتى وفاته سنة اثنتين وثلاثين للهجرة[٢٢]، وينفرد المؤرخ خليفة بن خياط بذكر آخر لسنة وفاته إذ يضعها بين سنتي (٦٢-٦٣هـ)[٢٣].

ارتبط اسم كعب الأحبار تاريخياً بالإسرائيليات ارتباطا كبيرا حتى أنّ المصادر التاريخية تذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب استعمل معه يوماً دّرته وقال له: (دعنا من يهوديتك)، ذلك من أجل نص رواه لم يرتضه عمر[٢٤]، وعن الذهبي في بعض مما يرويه في كعب الأحبار وغيبياته، وهو الذي يقدّمه تاريخياً بأنه

«حسن الإسلام متين الديانة من نبلاء العلماء »[٢٥]، ويقول فيه: «إنّ كعباً لما احتضر قال: ألا رجل أأتمنه على أمانة ؟ فقال رجل: أنا، فدفع إليه ذلك الكتاب، وقال: اركب البُحيرة، فإذا بلغت مكان كذا وكذا فاقذفه، فخرج من عند كعب، فقال: كتاب فيه علم، ويموت كعب، لا أفرّط به، فأتى كعباً وقال: فعلت ما أمرتني به، قال: فما رأيت ؟ قال: لم أر شيئاً، فعلم كذبه، فلم يزل يناشده ويطلب إليه حتى ردّه عليه، فقال: ألا من يؤدي أمانة ؟ قال رجل: أنا، فركب سفينته، فلما أتى ذلك المكان ذهب ليقذفه فانفرج له البحر حتى رأى الأرض، فقذفه وأتاه فأخبره، فقال كعب: إنها التوراة كما أنزلها الله على موسى، ما غُيرت ولا بدّلت، ولكن خشيت أن يُتّكل على ما فيها، ولكن قولوا: لا إله إلا الله ولقّنوها موتاكم »[٢٦] .

٤. وهب بن منبّه (ت١١٠ أو ١١٤هـ):

هو وهب بن منبّه بن كامل بن سيج بن ذي كبار اليماني الصنعاني (أحد مسلمة أهل الكتاب)، ولم يحدّد المؤرخون ديانته والكتابية بالضبط، ماخلا ابن خلدون الذي سمّاه في معرض كلامه عن القَصّاص والمنجمين فقال: «... وخصوصاً مسلمة بني إسرائيل مثل كعب الأحبار ووهب بن منبّه »[٢٧]، ارتبط ذكر وهب تاريخياً بالكثير من القصص والأخبار الإسرائيلية، حتى درج بعض المؤرخين على تعريفه بها، فياقوت الحموي يسمّيه «الأخباري صاحب القصص»[٢٨]، وابن خلكان دعاه « صاحب الأخبار والقصص »[٢٩]، وقدّمه الذهبي على أنّه « العلّامة الإخباري القصصي»[٣٠] . وأما ما تحدث به وهب عن نفسه فيبدو أنّه الحلقة الأغرب في سيرته، إذ يقول: « قرأتُ اثنين وتسعين كتاباً كلها نزلت

من السماء، اثنان وسبعون منها في الكنائس وفي أيدي الناس، وعشرون لا يعلمها إلا قليل »[٣١]، وليتنا نعلم هنا شيئاً عن هذه الاثنين وتسعين كتاباً سماوياً، التي قرأها وهب ولم يحصل على خبرها أحد غيره، ولعل في هذا النص وحده كفاية أولية للتعريف بهذه الشخصية .

هذا وهناك أسماء أخرى من (مسلمة أهل الكتاب) ممّن عُرِفوا برواية الإسرائيليات، مثل (محمد بن كعب القرظي (ت١١٧هـ)، وعبيد بن شريه الجرهمي (ت٦٧هـ)، وابن جريج (ت١٥٩هـ) .

وأما عن أبرز الأسماء من الرواة الصحابة الذين رووا هذه الإسرائيليات أو نسبت روايتها إليهم، فهم: أبو هريرة الدوسي (ت٥٩هـ)، وعبدالله بن عمرو بن العاص (ت٥هـ)، وعبدالله بن عباس (ت٦٨هـ)، وسيأتي التعليق على بعضهم لاحقاً .

ثانياً: الرخصة بالنقل وروايات التبشير اليهودية :

- حديث الترخيص والرواية والنقل من بني إسرائيل:

أخرج كل من البخاري بسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن الرسول ﷺ، وابن حنبل بسنده عن أبي هريرة عن الرسول ﷺ أنّه قال: « بلّغوا عني ولو آية وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[٣٢] . ولعل السؤال الأهم هنا هو عن كيفية توافق هذا الحديث مع ما جاءت به كتب التاريخ من نصوص وأحاديث أخرى عن الرسول ﷺ تتعارض وتتناقض معه نصاً ومضموناً، فالمصادر التاريخية تقول « لمّا قدم الرسول ﷺ المدينة قال لزيد: تعلّم كتاب اليهود، فإنّي والله ما آمن

اليهود على كتابي »[٣٣]، فكيف بالذي لا يأمن اليهود على دينه يُرخّص فيما بعد بالأخذ والحديث عنهم ؟ ثم أين يكون هذا الترخيص من قوله ﷺ إلى عمر بن الخطاب حين جاء بكتاب أصابه عن بعض أهل الكتاب، وقرأه على الرسول ﷺ، فغضب الرسول ﷺ وقال:[٣٤]« أمتهوّكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فكذبوا به، أو بباطلٍ فتصدّقوا به، والذي نفسي بيده لو أنّ موسى كان حيّاً ما وسعه إلا يتّبعني »[٣٥] .

ويذكر البخاري بسنده عن ابن عباس قوله:« كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث، تقرؤونه محضاً لم يشب، وقد حدّثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيّروه وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً... »[٣٦]

إنّ جميع هذه النصوص التاريخية وغيرها تؤكد أنّ حديث الترخيص هذا هو حديث موضوع ومختلق ولا يخرج عن الوضع والدس الإسرائيلي؛لأنه يشرعن الأخذ والنقل عنهم، ويسهل لهم المهمة، وأما عن أمر رواته وهما (عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو هريرة) فكلاهما – وكما أسلفنا – نقلا الإسرائيليات عن رواتها من مسلمة أهل الكتاب، ولعلهم فضلوا ذلك بحسن نيّة أو بغفلةٍ أو عدم تقدير لا غير .

– اليهود وروايات التبشير والنبؤة بنبوَّة محمد ﷺ

تُطلعنا بعض كتب التاريخ على نوع خاص من الروايات التاريخية، التي تتحدث عن علم اليهود السابق بنبوّة محمد ﷺ. وعن نبؤتهم وتحسسهم لقرب

زمن ظهوره، ولا شك أنّ مثل هذه الروايات إن صحّت مضامينها وجاءت منسجمةً مع الأحداث وخالية من الإساءة والطعن على شخص الرسول ﷺ فإنها دون شك لا تزيد الإسلام والمسلمين إلا يقيناً وثباتاً، لكن مثل هذا لم يُذكر فيها، إذ حتى التي خلت في ظاهرها من الطعن والإساءة، جاءت ضعيفة النص والمعنى ولا تفيد إلا إبراز مكانة علمية جديدة لهؤلاء اليهود في عصر ما بعد الإسلام، ولتحشيد شيء من الروحانيات والكرامات الدينية لهم لا غير، ذلك بعد أن أفقدهم ظهور الإسلام مكانتهم التي كانوا عليها بين العرب قبل الإسلام بوصفهم أهل كتاب، وفيما يلي بعض من هذه الروايات :

١. قال ابن أسحاق : حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن شيخ من بني قريضة قال لِيّ: هل تدري عمَّ كان إسلام ثعلبة بن سعبة وأسيد بن سعبة ... قلت : لا والله ؛ قال: فإن رجلاً من يهود أهل الشام يقال له ابن الهيّبان قدم علينا قبيل الإسلام بسنين، فحلَّ بين أظهرنا، لا والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس أفضل منه، فأقام عندنا، فكنّا إذا قحط عنا المطر قلنا له : أخرج يا ابن الهيّبان، فاستسق لنا، فيقول : لا والله حتى تقدّموا بين يدي مخرجكم صدقة ؛ فنقول له كم ؟ فيقول : صاعاً من التمر.. ثم حضرته الوفاة عندنا، فلما عرف أنه ميت قال : يا معشر يهود، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قلنا : إنكَ أعلم ؛ قال، فإني إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظل زمانه، وهذه البلدة مهاجرة، فكنت أرجو أن يبعث فاتبعه، وقد أضلّكم زمانه، فلا تُسبقنَّ إليه يا معشر يهود، فإنه يُبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه[٣٧].

وأول الملاحظ على هذه الرواية سندها الذي ينتهي إلى (شيخ من بني قريضة) وكفى، من دون التعريف به، ثم أنّ صياغتها تبدو خاضعة إلى تدبير وتشويق عاليين، سيما من جهة (صاع التمر) هذا الذي كان يشترطه ابن الهيّبان قبال استسقائه لهم والشيء الأهم من هذا كله هو ما تحمله الرواية من إساءة واضحة لشخص الرسول ﷺ، بأنه (يُبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء)، فهذا القول وحده يشي بأمرين في الرواية، الأول: أنها صيغَت فيما بعد الأحداث والمعارك التي جرت بين (المسلمين واليهود)، وكأنها جاءت إسقاطاً على هذه الأحداث، مثل ما جرى في خيبر وما قبلها، والأمر الثاني : هو في مصادرة هوية الرسول ﷺ الرسالية والإنسانية العظيمة بهذه الكلمات والعبارات المشينة.

٢. روى البيهقي ... عن ابن إسحاق : قال : كان هشام بن عروة يحدّث عن أبيه عن عائشة قالت : «كان يهودي قد سكن مكة يتجر بها، فلما كانت الليلة التي وُلد فيها الرسول ﷺ قال في مجلس من قريش : يا معشر قريش، هل ولِدَ فيكم الليلة مولود؟ فقال القوم : والله ما نعلمه، قال : الله اكبر، أما إذا أخطأتم فلا بأس، أنظروا واحفظوا ما أقول لكم، ولِدَ فيكم الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة، بين كتفيه علامة وفيها شعرات متوترات كأنها عُرف فرس، ولا يرضع ليلتين، وذلك أن عفريتاً من الجن أدخل أصبعه في فمه فمنعه الرضاع....»، ثم تستكمل هذه الرواية الخبر، وتقول إنّ اليهودي هذا تحقّق من صحة ولادة هذا المولود النبي ووقع مغشياً عليه وقال لقومه اليهود: « أما والله ليسطوّن بكم سطوة يخرج خبرها فيها من المشرق والمغرب »[٣٨].

هذا ورغم أنّ موضوع السند لا يجري في أي حال مجرى متن الرواية ونصّها، لكن الملاحظة أحيانا تفرض أولويتها، فسند هذه الرواية ينتهي عند السيدة عائشة، وهي دون شك ليست أحد السامعين من هذا اليهودي، ولا من عصرهم حتى، ومن ثم فهذا سند مرسل وغير مكتمل . والشيء الآخر هنا هو في أمر هذه التوافقات الطبيعية والروحية العالية التي انتظمت في عقل هذا الرجل اليهودي ومكّنته من الاستدلال على ليلة ولادة النبي ﷺ، وأما ما جاء بشأن هذه الشعرات المتوترات في ظهر هذا الوليد النبي ﷺ، واللاتي يشبهن عرف الفرس، وأمر هذا الجنّي الذي أدخل أصبعه في فم الرسول ﷺ ليمنعه من الرضاع لمدة يومين ....! . فما هذا إلا محض إساءات متتالية وطعن وتشويه لشخصه الكريم، وحتماً ستنتظم هذه الإساءات لاحقاً مع مثيلاتها في النصوص والأحاديث الموضوعة الأخرى، لتؤدي غرضاً منشوداً، وتنال من موضوع عصمته.

ولعل من الجدير بالذكر هنا، ومما يتوافق معناه تماماً مع مضمون هذه الرواية، هو الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من بني آدم مولود، إلا يمسّه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخاً من مس الشيطان، غير مريم وابنها »[٣٩] . فالعصمة إذاً خاصة بالسيدة مريم وابنها عليهما السلام وهذا النص يتنافى ويتقاطع مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْغَاوِينَ ﴾[٤٠].

٣. ويُطلعنا كعب الأحبار على نموذج جديد من الروايات اليهودية التبشيرية، وهذا النموذج لا يقف هذه المرة عند حدود مبعث النبي ﷺ، بل يبشّر باثنين من الخلفاء من بعده، فكعب يقول :« إنّ أبي كتب لي كتاباً من التوراة ودفعه

إليّ، وقال: إعمل بهذا، وختم على سائر كتبه ... فلما كان الآن، ورأيت الإسلام يظهر ولم أر بأساً، قالت لي نفسي : لعلّ أباك غيّب عنك علماً كتمك فلو قرأته، ففضضتُ الخاتم فقرأته، فوجدتُ فيه صفة محمد ﷺ وأمته فجئت الآن مسلما»[٤١] . وفي رواية ثانية: « وتأخر إسلام كعب الأحبار إلى زمن عمر فقال له [عمر]: ما سبب تأخر إسلامك، فقال له، إنّا نجد في التوراة أن محمداً يُبعث من العرب، ثم يتوفى ويتولى بعده شيخ صالح، ثم يموت ويتولى بعده صلد من حديد، فلما رأيت الأمر جميعه لذلك أسلمت»[٤٢].

وهاتان الروايتان يكشفان عن شخصية كعب بشيء من الوضوح، وإلا ما معنى أن تكون صفة النبي محمد ﷺ مذكورة في التوراة – حسب الرواية الأولى – ثمّ أنّ أبا كعباً يختم على المظروف ويقْسِم على ولده ألا يفضه؟. والرواية الثانية تدلنا على واحدٍ من السبل العديدة التي كان يسلكها كعب الأحبار للتقرب إلى الخليفة عمر بن الخطاب.

٤ . يذكر ابن هاشم: قال ابن إسحاق: « حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف بن يحيى بن عبد الله ... الأنصاري، قال : حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت قال: والله إنّي لغلام يفعه ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما أسمع، إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطمّه بيثرب: يا معشر يهود، حتى إذا اجتمعوا إليه، قالوا له: ويلك ما بالك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولِد به »[٤٣] .

وكذلك هنا يأتي الإسناد ضعيفا بصيغة (حدّثني من شئت من رجال قومي)..، وأما المتن والمضمون فهو كسابق الروايات لا يبتغي منه إلا علمية اليهود

ونبؤاتهم السابقة وتحشيد المكانة المرموقة لهم بين المسلمين.

ثالثاً : الإسرائيليات حول شخص الرسول ﷺ

استكمالاً لما تقدم ذكره من الروايات التي مسّت شخص الرسول ﷺ وأساءت له وللإسلام، سنذكر هنا روايات أخرى وأحاديث مزعومة تحمل الغرض نفسه وتفيد المعنى نفسه، ولعل بعضها أخذ الشرعية التاريخية واكتسب المصداقية بين الناس وصار من الصعب تكذيبه أو نقده .

١. حديث أو رواية (شق الصدر) :

روى ابن هشام عن ابن إسحاق قوله:« وحدثني ثور بن زيد عن بعض أهل العلم .. أنّ نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له : يارسول الله ﷺ أخبرنا عن نفسك ؟ قال : (نَعم، أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى ... فبينما أنا مع أخٍ لِيّ خلف بيوتنا نرعى بهماً لنا، إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوء ثلجاً، ثم أخذاني فشقا بطني، واستخرجا قلبي فشقاه، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرةٍ من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال : زنّه بمئةٍ من أمته، فوزنني بهم، فوزنتهم، ثم قال : زنّه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ؛ فقال : دعه عنك، فوالله لو وزنته بأمته لوزنها»[٤٤].

وسند هذه الرواية كذلك جاء ضعيفاً بصيغة عن (بعض أهل العلم) وهذه العبارة (أهل العلم) غالباً ما يراد بها (أهل الكتاب) لا غير، والشيء الثاني والأهم في هذا النص كله هو في أمر هذه الـ(علقة السوداء) التي في قلب الرسول ﷺ، وكيف أنّ الله جل وعلا استدرك أمرها وأرسل الملكين لاستخراجها

! فلا أحسب أحداً اليوم يجد تعليلاً علمياً أو روحياً لسبب وجودها أولاً ولطريقة استخراجها ثانياً !، ناهيك عن قضية الوزن هذه المتتالية التي جرت مع شخص الرسول ﷺ ومع أفراد أمته ... إن هذه الرواية بأكملها لا تبدو أولاً إلا من قبيل السرد الشعبي البسيط، ثم اكتسبت الشرعية والمباركة ممن أراد لها أن تروى وتدون حتى شاعت على ذمة التاريخ لا أكثر .

هذا وبقي من أمر (شق الصدر) أن نضع إلى جانب هذا النص نصّاً أخر مشابهاً له ذلك حين يتعرض قلب الرسول ﷺ إلى عملية شق وغسل ثانية، ففي سرد حادثة (الإسراء والمعراج)، أخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك أنّ الرسول ﷺ قال : « فُرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمان فأفرغه في صدري ثم أطبقه»(٤٥).

٢. قصّة الغرانيق العُلا :

روى الطبري عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد المدني عن محمد بن كعب القرظي أنه قال : لما رأى رسول الله ﷺ تولي قومه عنه، وشقَّ عليه ما يرى من مباعدتهم ما جاءهم به من الله، تمنّى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه ... فأنزل الله عزَّ وجل﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى ﴾ فلما أنتهى إلى قوله :﴿ أَفَرَأَيْتُمْ اللاَّتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ﴾(٤٦)، ألقى الشيطان على لسانه .. (تلك الغرانيقُ العُلا، وإنّ شفاعتهنَّ لترتجى)، فلما سمعت ذلك قريش فرحوا وسرّهم وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم ... فلما انتهى إلى السجدة منها وختم السورة

سجد فيها، فسجد المسلمون بسجود نبيهم ... وسجد من في المسجد من المشركين من قريش وغيرهم، .. ثم تفرّق الناس من المسجد ... وبلغت السجدة بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ .. وأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ماذا صنعت ؟ لقد تلوت على الناس ما لم أتك به عن الله عز وجل ... فأنزل الله عزّ وجل (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته)[٤٧].

والسند هنا ينتهى إلى (محمد بن كعب القرظي) وهو – وكما أسلفنا – أحد مسلمة أهل الكتاب المعروفين بنقل الرواية الإسرائيلية، والشيء الثاني ما تعلق بهذا (الشيطان) الذي ألقى على لسان رسول ﷺ – ترفع مقامه عن ذلك – ما ألقى من هذه الافتراءات والأقاويل التي سطّرتها هذه الرواية، والتي لا يمكن أن تكون إلا من فعل فاعل مفترٍ صاغها لتنسجم مع نصّ الآية القرآنية ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ ظنّاً منه أنَّ هذا النص القرآني سيكون غطاءً داعماً لتمريرها، ولعلّ هذا الأمر هو الذي أوهم ابن إسحاق والطبري في روايتها وتدوينها .

٣. الرسول ﷺ ورواية أكله مما ذُبح على الأصنام :

جاء في سيرة ابن إسحاق – النسخة الأصلية –، قال ابن إسحاق : فحُدّثت أنّ رسول الله ﷺ قال، وهو يُحدّث عن زيد بن عمرو بن نفيل : « أن كان لأول من عاب عليّ الأوثان ونهاني عنها، أقبلت من الطائف ومعي زيد بن حارثة، حتى مررت بزيد بن عمرو وهو بأعلى مكة، وكانت قريش قد شهرته بفراق دينها، حتى خرج من بين أظهرهم وكان بأعلى مكة، فجلست إليه ومعي

سفرة ليّ فيها لحم يحملها زيد بن حارثة من ذبائحنا على أصنامنا فقربتها له وأنا غلام شاب، فقلت : كل من هذا الطعام أي، قال : فلعلها أي ابن أخي من ذبائحكم هذه التي تذبحون لأوثانكم ؟ فقلت : نعم، فقال: أما إنّك يا ابن أخي لو سألت بنات عبد المطلب أخبرّنك أني لا آكل هذه الذبائح، فلا حاجة ليّ بها، ثم عاب عليَّ الأوثان ومن يعبدها ويذبح لها، وقال :إنما هي باطل، لا تضر ولا تنفع، أو كما قال : قال رسول الله ﷺ :« فما تمسحت بوثن منها بعد ذلك على معرفة بها، ولا ذبحت لها حتى أكرمني الله عز وجل برسالته »[٤٨].

والسند أيضاً يرسله ابن إسحاق هنا بطريقة غريبة فيقول : (فحُدّثت) أن الرسول ﷺ ...، ولا نعلم مَن حدثه، فيبني كلّ هذه القصة على المجهول لا غير، ثم يسوق لنا هذا الكلام الذي يسيء لشخص الرسول الكريم ﷺ أيّما إساءة، ويُظهر زيد بن عمر بن نفيل أكرم وأعصم من كونه هو الممتنع عن الأكل مما ذُبح عن النصب، والرسول ﷺ هو الآكل منه، بل الذابح لهذه الأوثان هو وبنو عبد المطلب جميعاً . فكيف تكون الإساءة إذن ؟ وكيف لا يكون هذا النص تحت مظلة الإسرائيليات ؟

٤- الرسول ﷺ وقصة الجساسة والدجال :

ذكر المسعودي هذه القصة فقال:« روى الشعبي عن فاطمة بنت قيس عن النبي ﷺ، وكذلك قد رواه عن فاطمة بنت قيس عدة من أصحابه، وهو خبر تميم المداري، أن النبي ﷺ أخبر عنه أنّه أخبره، أنه ركب البحر في جماعة من بني عمّه في سفينة، فأظلَّ بهم البحر وألقاهم إلى جزيرة فخرجوا من

السفينة إلى الجزيرة، فنظروا إلى دابة عظيمة قد نشرت شعرها، فقالوا لها: أيتها الدابة ما أنت ؟ فقالت: أنا الجساسة التي أخرج آخر الزمان، وذكروا عنها كلاماً غير هذا، وإنها قالت: عليكم بصاحب القصر، فنظروا فإذا هم بقصر من حاله ووصفه كذا، وإذا هم برجل بالحديد والقيود مسلسل إلى عمود من حديد، وصفة وجهه كذا، وإنه خاطبهم وساءلهم: وأنّه الدجال، وأنه أخبرهم بجمل من الملاحم، وأنه لا يدخل مدينة النبي ﷺ وغير ذلك مما ذكر في هذا الحديث»[٤٩] .

وأما مسلم فقد روى هذه القصة بإسهاب أكثر وبسنده عن الشَّعبي عن فاطمة بنت قيس أيضاً... ومما يقول فيها : إنَّ الرسول ﷺ جمع المسلمين في المسجد لصلاة جامعة، وقال: « أتدرون لِمَ جمعتكم ؟ ... لأن تميماً الداري، كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال... »ثم يسرد القصة، وفي ختامها يذكر مسلم عن فاطمة بنت قيس أنها قالت، قال الرسول ﷺ « فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه...»[٥٠].

وهذه الرواية جاءت في كل المصادر التي ذكرتها مروية بطريقة واحدة عن الشّعبي عن (فاطمة بنت قيس) أخت الضحاك بن قيس، ولم تُطلعنا هذه المصادر على طريق آخر لسندها، ومثل هذا الخبر الغريب وهذه القصة العجيبة، والتي يُحدّث بها الرسول ﷺ من على منبره الشريف، لا شك أنها ستأخذ مساحة كبيرة من الحديث وستروى من أكثر من صحابي، ولعليّ أجد الكفاية بالنقل عن الدكتور صائب عبد الحميد وتعليقه على هذه القصة، فهو يقول

: « ... ومن ذلك الحين والبحر يطوى كل يوم مرّات، تجوبه السفن المدنية والعسكرية، وتحلّق فوقه الأقمار الصناعية، ولم يزل أمر هذه الجزيرة مجهولاً ! وما بلغ دارون وأصحابه نبأ هذه الدابة الناطقة باللسان العربي! ولكن البسطاء وذوي القلوب السليمة طفقوا يستلهمون من هذه القصة العبر ... فهذا رسول الله ﷺ يحُدث عن نصراني أسلم لتوّه! »[٥١] .

٥- الرسول ﷺ وخبر الآذان – أو البوق – أو الناقوس :

ذكر ابن هشام عن ابن إسحاق أن الرسول ﷺ لما أراد أن يجعل للمسلمين شيئاً يدعو به الناس للصلاة في مواقيتها، " فهمَّ رسول الله ﷺ حين قدمها أن يجعل بوقاً كبوق يهود للذين يدعون به لصلاتهم، ثم كرهه: ثم أمر بالناقوس فنُحِتَ ليُضرب به للمسلمين للصلاة، فبينما هم على ذلك، إذا رأى عبد الله بن سلمة بن ربه أخو بلحارث بن الخزرج، النداء فأتى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله، إنه طاف بي هذه الليلة طائف: مرّ بي رجلٌ عليه ثوبان أخضران، يحمل ناقوساً في يده، فقلت له: يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس؟ قال: وما تصنع به ؟ قال: قلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلّك على خير من ذلك ؟ قال: قلت: وما هو ؟ قال: تقول: الله اكبر الله اكبر، الله اكبر الله اكبر ..... " ثم يلي ابن هشام هذه الرواية برواية أخرى عن ابن جريج قال: قال لي عطاء: سمعت عبيد بن عمير الليثي يقول:« ائتمر النبي ﷺ وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة »، فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس، إذا رأى عمر بن الخطاب في المنام: لا تجعلوا الناقوس، بل أذنوا للصلاة، فذهب عمر إلى النبي ﷺ ليخبره بالذي رأى، وقد جاء النبي ﷺ الوحي

بذلك، فما راع عمر إلا بلال يؤذّن فقال رسول الله ﷺ حين أخبره بذلك: قد سبقك بذلك الوحي »[٥٢] .

والملاحظ على الروايتين أن الأولى يرويها ابن هشام عن ابن إسحاق مرسلة من دون سند يذكر، وأن أهم ما فيها هو (بوق اليهود) و (ناقوس النصارى).

وأما الرواية الثانية، فيرويها عن ابن جريح ... وهذا الرجل عرف برواية الإسرائيليات .

٦- الرسول ﷺ وقوة ثلاثين رجل:

أخرج البخاري بسنده عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك قوله:« كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار، وهنّ إحدى عشرة قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه ؟ قال : كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين»[٥٣] .

ولعلَّ الراوي هنا فاته أن الرسول ﷺ لم تجتمع له من النساء إحدى عشرة، لأنه لم يجمع على خديجة ﷺ امرأة حتى ماتت، وأنّ سائر نسائه مع خديجة إحدى عشرة إمرأة.

والشيء الآخر أنَّ هذا النص يحاكي نصاً آخر عن أبي هريرة قال: « قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفنَّ الليلة بمئة امرأة، تلد كلُّ امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله، فقال له المَلَك: قل إن شاء الله، فلم يقل ونسي فأطاف بهنّ، ولم تلد منهنّ إلا إمرأة نصف إنسان. قال النبي ﷺ «لو قال: إن شاء الله لم يحنث، وكان أرجى لحاجته »[٤٩] .

هذا ومن الجدير بالإشارة في أمر النبي سليمان ﷺ مع النساء أن كتب أهل الكتاب جاءت بروايات غريبة وعجيبة عن ذلك، وقد ورد منها الكثير في كتبنا التاريخية أيضاً، ولعل هذه الصورة

سرت إلى أذهان الرواة المسلمين وأعجبتهم مسألة القوة الجنسية للنبي سليمان ﷺ فانتقلوا بها إلى شخص الرسول الكريم ﷺ، حتى كثرت الروايات التي تتحدث عن النبي ﷺ وأمره مع النساء.

رابعاً : الإسرائيليات العقائدية

لعلَّ من أخطر المواضيع والنصوص التاريخية الدخيلة على التراث الديني الإسلامي هو ما خصَّ منها أموراً عقائدية ومسائل كلامية، وصار لها فيما بعد قائلون ومؤيدون، وتشكلت حولها فرق كلامية، كالمجسّمة، والمشبّهة، والجبرية، وغير ذلك، وسنتناول فيما يلي بعضاً من هذه النصوص التاريخية التي فيها جذور وأصول كتابية إسرائيلية:

١ .روى البخاري ومسلم بسندهما عن أبي هريرة عن الرسول ﷺ قال:« خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: إذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة، .... فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن » .

ولهذا الحديث – المزعوم – نص يهودي مقابل في كتاب (العهد القديم)، يقوله « فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه » [٥٠] .

وعلى شاكلة هذا الحديث يروي مسلم عن أبي هريرة عن الرسول ﷺ أنه قال: « إذا قاتل أحدكم أخاه فليتجنب الوجه، فإن الله خلق ادم على صورته » [٥١] .

ومما لا يخفى أنّ كلا الحديثين يجسمان الذات الإلهية، فالله جلَّ وعلا ظهرت صورته هنا على مثل صورة مخلوقه الإنسان، وهذا مما يترفع شأن الله عنه، كيف لا ؟ وهو القائل :﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[٥٨]. وقوله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [٥٩] وحسبنا أن نستفيد من قول المفكر عباس محمود العقاد بهذا الخصوص: « إن العقيدة الإسرائيلية بدأت بتصوير الإله على صورة إنسان يأكل ويشرب، ويخص قبيلته بني إسرائيل بالبركة »[٦٠] .

هذا وتلزم الإشارة ثانيةً إلى موضوع (أبي هريرة وكعب الأحبار والرواية الإسرائيلية)، إذ وقف عند هذه المسألة أكثر من مؤرخ وباحث، وللإيجاز نأتي ببعض من ذلك، إذ يذكر ابن سعد : «أنْ جاء أبو هريرة إلى كعب يسأل عنه وكعب في القوم، فقال كعب: ما تريد منه؟ فقال: أما إنَّكَ لم تجد طالب شيء إلا يشبع منه يوماً من الدهر إلا طالب علم أو طالب دنيا، فقال كعب: أنت أبو هريرة، فقال أبو هريرة: أنت كعب ؟ فقال نعم، فقال: لمثل هذا جئتك»[٦١]، ثم تتوالى اللقاءات وتتوثق العلاقة بين الاثنين، إذ يذكر أحمد بن حنبل: « اجتمع أبو هريرة وكعب فجعل أبو هريرة يحدث كعب عن النبي ﷺ وكعب يحدّث أبا هريرة عن الكتب»[٦٢] .

٢.روى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ انه قال:« إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن (عزَّ وجلَّ) وكلتا يديه يمين » [٦٣] .

وهذا الحديث – المزعوم – ينطق أيضاً بالتجسيم للذات الإلهية، فإنّ لله جلّ وعلا هنا يدين اثنين، والفرق بين يديه وبين يدي مخلوقه الإنسان أنّ كلتا يديه يمين !!. هذا وإنّ راوي الحديث (عبد الله بن عمرو بن العاص) الذي سبقت الإشارة إلى أنه احد الذين اشتهروا برواية الإسرائيليات، إذ تذكر المصادر التاريخية أنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب اليهود وأنه كان يحدّث منهما. ويزيد ابن حجر

على هذا الخبر فيقول: « فتجنب الأخذ منه كثير من أئمة التابعين»[٦٤].

٣.اخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى من ثلث الليل الأخير، يقول: مَن يدعونني فاستجب له؟مَن يسألني فأعطيه، من يستغفرني فاغفر له »[٦٥] .

وهذا الكلام الذي يتحدث عن (نزول الله إلى مكان) يعني أن هذا المكان كان خالياً من وجود الله قبل النزول– ونستجير بالله من هذا القول –. وهذا القول أيضاً هو موضوع خلافي كلامي عقائدي إسرائيلي الجذر، فقد جاء في العهد القديم في قصة خروج بني إسرائيل من مصر: « وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم »[٦٦] .

٤.يروي البيهقي عن كعب الأحبار قوله: «وما من الأرض شبر إلا مكتوب في التوراة التي أنزل على موسى ما يكون عليه، وما يخرج منه »[٦٧] . وهذا النص ناطق بالجبر والجبرية، كونه يضع كل أعمال الإنسان على هذا الكوكب موضع المقدّرة عليه والمجبور هو على الإتيان بها أو فعلها، وكيف لا؟ إذا كان كل شبر في هذه الأرض مكتوبا ما يكون عليه ما يكون وما يخرج منه!

لقد أخذت مسالة (الجبر والاختيار) مساحة واسعة ومقالاً كثيراً وعريضاً في الفكر الإسلامي، حتى وصل الاختلاف حولها محل الافتراق إلى فرق كلامية إسلامية معروفة، وهذه المسالة متجذرة في الفكر اليهودي الإسرائيلي.

- ويذكر ابن قتيبة عن وهب بن منبّه قوله: « قرأت في اثنتين وسبعين كتاباً.... أجد فيها كلها، من أضاف إلى نفسه شيء من الاستطاعة فقد كفر »[٦٨] . وهذا النص أيضاً يتناول ويرسخ مسالة القول بالجبر؛ لأنه يتطرق إلى مسالة القول بـ(الاستطاعة)،

وينفيها عن الإنسان تماماً، والذي يضيفها إلى نفسه فهو كافر! بحسب قول وهب وقراءاته في كتبه ولكن الله جلَّ وعلا لا يسلب الإنسان هذه الاستطاعة والإرادة في الفعل فهو يقول في محكم كتابه: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[٦٩] .

وأخيراً يبدو أن الجبريين أرادوا أن يكافئوا وهب على مروياته هذه فابتدعوا حديثاً منسوباً إلى رسول الله ﷺ يقول فيه:«يكون في أمتي رجلان، أحدهما وهب، يهب الله له الحكمة، والآخر غيلان فتنة على هذه الأمة »[٧٠]، وغيلان هذا هو (غيلان الدمشقي) الكلامي المعروف الذي قابل (الجبريين) في دعواهم وقال إن الإنسان مختار في عمله وله الإرادة والاستطاعة فيه .

٥.ويذكر أنّه قيل للسيدة عائشة زوج رسول الله ﷺ: إن كعب الأحبار يقول: « إنّ الله قسّم رؤيته وكلامه على نبيين: موسى الذي كلمه الله، ومحمد ﷺ الذي أذن له برؤية الله، قالت: معاذ الله، لقد قفَّ شعري مما قلت: من زعم أنَّ محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله »[٧١] . وهذه مسألة كلامية أخرى افترق حولها المسلمون، فمنهم من قال بإمكانية رؤية الله جلّ وعلا في العالم الثاني، ومنهم من نفى ذلك .

الخاتمة

توخياً للإيجاز سنضع الأهم من النتائج والرؤى بنقاط مختصرة :

١.إنّ خطورة النصوص الإسرائيلية وسلبية أثرها في التراث الإسلامي بشكل عام، وفي كتب السيرة والحديث على الأخص، لا تتمثل بتلك القصص والأساطير الكتابية أو ببعض الروايات الإخبارية الساذجة فحسب، وإن كان لكل هذا أثرا سلبي بالتحصيل العام، إنما تتمثل أولاً بذلك المدسوس التخريبي المسيء الذي طال شخص الرسول الكريم محمد ﷺ، وأبعده عن مكانته الدينية وعصمته الإنسانية كخاتم الأنبياء وسيدهم، بل سيد الخلق أجمعين.

٢.والأمر الآخر المهم في هذا البحث هو ما خص هؤلاء النقلة من مسلمة أهل الكتاب الذي فات على الكثير من المؤرخين والباحثين تشخيصهم الحقيقي، وظلّوا يروون في التاريخ الإسلامي مكانة الصحابي أو التابعي الجليل، دون الالتفات إلى متون رواياتهم وأحاديثهم المزعومة .

٣.ومما يكمّل دور هؤلاء النقلة الأوائل هو قوة شخصية بعضهم وتأثيرهم وسطوتهم القوية على بعض من الصحابة والتابعين، حتى صاروا رواة بارزين للكثير من هذه الإسرائيليات، ولعل ذلك كان من دون تقدير صحيح منهم، ودون الإلتفات إلى الدور الذي يلعبه هؤلاء معهم .

٤.كذلك تلزم الإشارة إلى طبيعة علاقة هؤلاء النقلة الرواة بالمؤسسة السلطوية الأموية، وكيف أن الاثنين تبادلا معاً المصلحة من هذه المرويات، ولا أدلّ على ذلك من الإشارة إلى هذه العلاقة الحميمة التي تربط بين كعب الأحبار ومعاوية بن أبي سفيان .

٥.هذا وإنَّ الغالبية من المسائل الكلامية العقائدية التي شغلت المسلمين وانشغلوا هم بها في القرنين الأول والثاني الهجري على الأخص هي في الأصل مستقاة من عقائد إسرائيلية كتابية، كانت قد مزقت من قبل شريعتي موسى وعيسى عليهما السلام.

الهوامش

١)العهد القديم، التكوين، ٣٢ .

٢)عن السيد القمي، الأسطورة والتراث، ص٢٢٥-٢٦ .

٣)كتاب التيجان، ص١٥٤ .

٤)مريم: ٥٨ .

٥)تفسير القرآن، ج١، ص٨ .

٦)مالك، الموّطأ، ص٣٣٠ .

٧)الطبقات، ص٥، ص١٣٢ .

٨)الفرقان: ٥ .

٩)المقدمة، ص٤٧٨ .

١٠)الذهبي، سير أعلام، ج٣ ص٢١٨ .

١١)ابن النديم، الفهرست، ص١٤٣ .

١٢)المائدة: ٨٢ .

١٣)آل عمران: ٦٩ .

١٤)السيرة النبوية، ج٢، ص٣٢٨ .

١٥)سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٢٠٤ .

١٦)ابن هشام، السيرة، ج٢ ص٣٦٣ .

١٧)ينظر: الذهبي، سير أعلام، ج٣، ص٢٠٦ .

١٨)إبراهيم فوزي، ص٢٨٢ .

١٩)محمد احمد عيسى، ج١، ص١٢٣ .

٢٠)سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٢١٩ ؛ وينظر الزركلي، كتاب الأعلام، ط٢، ص٧٢ .

٢١)مروج الذهب، ج٢، ص١٨٠ .

٢٢)ابن سعد، الطبقات، ج٩، ص٤٤٩ ؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٢٤٤ ؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ط١، ص ٥٢.

٢٣)كتاب الطبقات، ص٣٠٨ .

٢٤)الغزالي، إحياء علوم الدين، ص٤، ص٣٨٢ ؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ط١، ص٣٥ .

٢٥)سير أعلام النبلاء، ص٥٩٥ .

٢٦)سير أعلام، ط٣، ص٥٩٧- ٥٩٨ .

٢٧)المقدمة، ص٣٦٦ .

٢٨)معجم الأدباء، ج٧، ص٢٣٢ .
٢٩)وفيات الأعيان، ج٦، ص٣٥.
٣٠)سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٢٩٣ .
٣١)ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص١٠٢ .
٣٢)صحيح البخاري، رقم الحديث (٣٤٦١) . المسند، ج٢، ص١٥٩ .
٣٣)ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص١١٥ .
٣٤)متهوكون، متخيرون .
٣٥)ابن حنبل، المسند، ج٤، ص٣٧٦ .
٣٦)صحيح البخاري، رقم الحديث (١٣٦٣) .
٣٧)ابن هشام السيرة النبوية، ص١٦٥-٦٦ .
٣٨)دلائل النبوة، ج١ ص٩٠-٩١ .
٣٩)البخاري، رقم الحديث ٣٤٣١، ٣٢٨٦ ؛ وينظر: مسلم ٦١٥٨ .
٤٠)الحجر: ٤٢ .
٤١)ابن سعد، الطبقات، ج٩، ص٤٤٩ .
٤٢)القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص١٤٥ .
٤٣)السيرة النبوية، ج١، ص١٢٩.
٤٤)السيرة، ج١، ص١٣٤ .
٤٥) صحيح البخاري، رقم الحديث ٣٤٩ ؛ وصحيح مسلم، رقم الحديث٤٢٢.
٤٦)النجم: ١٩-٢٠ .
٤٧)الرسل والملوك، ج٢، ص٣٣٨-٣٩ .
٤٨)ص٩٨، الفقرة ١٣٣ .
٤٩)المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١٨٠؛ وابن حنبل، المسند، ج٧، ص٥١٧ ؛ وابن جحر، الإصابة، ج١، ص١٨٣ .
٥٠)صحيح مسلم، حديث رقم (٧٤٢١) .
٥١)تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي، ص٥٠٢ .
٥٢)السيرة النبوية، ص٣٥٧-٥٨ .
٥٣)صحيح البخاري، رقم الحديث (٢٦٨) كذلك (٢٨٤، ٥٠٦٨ .
٥٤)البخاري، رق م الحديث (٥٢٤٢) كر في ٢٨١ .
٥٥)صحيح البخاري، رقم الحديث (٦٢٢٧) . صحيح مسلم، (٧١٩٧) .

٥٦)التكوين، الإصحاح .
٥٧)صحيح مسلم، (٦٦٨٩) .
٥٨)البقرة: ١٦٩ .
٥٩)الشورى: ١١ .
٦٠)موسوعة العقاد، ط١، ص٢٨٠ .
٦١)الطبقات، ج٥، ص٢٣٧ .
٦٢)المسند، ج٢، ص٢٧٥ .
٦٣)صحيح مسلم، رقم الحديث (٤٧٤٢) .
٦٤)ابن حجر، فتح الباري، ط١، ص١٦٧ .
٦٥)صحيح البخاري، رقم الحديث، (١١٤٥-٦٣٢١) .
٦٦)الخروج، ١٣ .
٦٧)دلائل النبوة، ط٦، ص٢٧٦ .
٦٨)تأويل مختلف الحديث، ص١٨٢ .
٦٩)الأعراف : ٢٨ .
٧٠)ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص١٠٨ .
٧١)الترمذي، السنن، ط١، ص٣٧٥ .

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

*الكتاب المقدس (العهد القديم، العهد الجديد).

*إبراهيم فوزي، تدوين السنّة، مصر، ٢٠٠٠ .

*ابن إسحاق محمد (ت ١٥١هـ): سيرة ابن إسحاق، تح:محمد حميد الله، الرباط، ١٩٧٦.

*البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ): صحيح البخاري، بيروت، لا.ت

*البيهقي، احمد بن الحسين (ت٢٥٨هـ): دلائل النبوة، دار الريان، بيروت، ١٩٨٨

*الترمذي، محمد بن عيسى (ت٢٩٧هـ): سنن الترمذي، دار احياء التراث، بيروت، لا.ت

*ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت٢٤١هـ): مسند أحمد، بيروت، ١٩٩٤.

*ابن حجر، احمد العسقلاني (ت٨٥٢هـ)

*الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت، لا.ت .

*فتح الباري، بيروت، ١٩٨٩.

*ابن خلدون، عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ) : مقدمة ابن خلدون، دار الأرقم، بيروت .

*ابن خلكان أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ) : وفيات الأعيان، بيروت، لا.ت.

*الذهبي، احمد بن محمد (ت – ٧٤٨هـ) :

*تذكرة الحفّاظ، بيروت، ١٣٧٤هـ .

*سير أعلام النبلاء، بيروت، لا.ت .

*الزركلي – خير الدين كتاب الاعلام، بيروت، لا.ت.

*سبط ابن الجوزي يوسف (ت-٦٥٤هـ) : مرآة الزمان، دار إحياء التراث، الرياض، لا.ت.

*ابن سعد، محمد (ت-٢٣٠هـ) : كتاب الطبقات الكبرى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١.

*صائب عبد الحميد : تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي، إيران، ١٩٩٧.

*الطبري، محمد بن جرير (ت١٩٠هـ): تاريخ الرسل والملوك، دار الحكمة، بيروت، لا.ت.

*العقاد . عباس محمود : موسوعة العقاد الإسلامية، دار العلم الحديث، بيروت، ١٩٨٤.

*الغزالي ابو حامد محمد (ت ٥٠٥هـ): إحياء علوم الدين، مكتبة التجارية القاهرة، لا.ت

*ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت٧٧٤) : تفسير القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ

*مالك بن انس (ت١٧٩هـ): المؤطأ، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٩٨ .

*محمد احمد عيسى : موسوعة الإسرائيليات، دار الغد القاهرة، ٢٠٠٨ .

*المسعودي علي بن الحسين

(ت٣٤٦هـ): مروج الذهب، دار الأنوار، بيروت، ٢٠٠٩ .
*مسلم بن الحجّاج القشيري (ت٢٦١هـ): صحيح مسلم، دار صادر، بيروت، لا.ت.
*ابن النديم أبو الفرج محمد (ت٣٨٠هـ): الفهرست، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠.
*ابن هشام عبد الملك (ت ٣١٨هـ) : السيرة النبوية، دار التراث العربي، مصر، لا.ت.
*وهب بن منبّه (ت١١٠هـ): كتاب التيجان، دار المعارف، الهند، ١٣٤٧هـ .
*ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ) : معجم الأدباء، دار المأمون، مصر، لا.ت.

الله اكبر

الله اكبر
الإسرائيليات في كتب السيرة النبوية
دراسة تاريخية في الدلالة والأثر

ضمن فعاليات ملتقى السيرة تقيم دار الرسول الأعظم ﷺ التابعة لمركز العميد الدول
للبحوث والدراسات ندوة علمية بعنوان:
الإسرائيليات في كتب السيرة النبوية
دراسة تاريخية في الدلالة والأثر
يحاضر فيها : الدكتور كريم مظهر العميري (دام توفيقه)
يوم الجمعة الموافق ٢٠١٩/٧/٥م الساعة التاسعة صباحا

يُحاضرُ فيها : الدكتور كريم مظهر العميري
يوم الجمعة الموافق ٢٠١٩/٧/٥م الساعة التاسعة

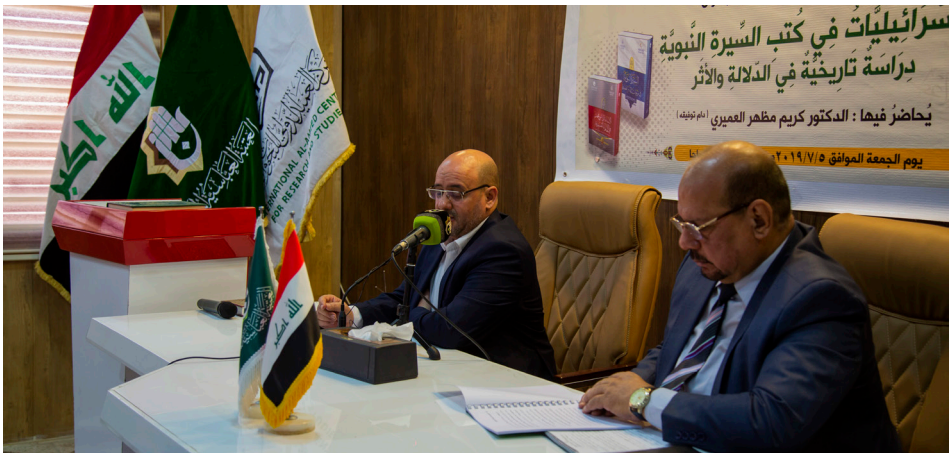
سرائيليات في كتب السيرة النبوية
دراسة تاريخية في الدلالة والأثر
يحاضر فيها : الدكتور كريم مظهر العميري
يوم الجمعة الموافق ٢٠١٩/٧/٥

الله اكبر

ركز العميد الدولي

٣ الندوة الثالثة

- النبي ﷺ والوصي عليه السلام في آيات الغدير
- الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي
- على قاعة مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات
- يوم الجمعة الموافق 2019/8/30م

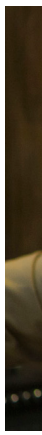

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أنا أشكر حضوركم وحسن استماعكم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، لعل المسألة الشرعية أهم، وقلما تذكر، بينما هي متفق عليها في الفقه الجعفري عند علمائنا علماء مذهب أهل البيت ﷺ بلا خلاف، وهي أن قراءة سورة الفاتحة في الصلاة وغير الصلاة حسب الراجح عن أئمة أهل البيت ﷺ لا تكون دعاءً، أي لا تكون قراءة الفاتحة دعاءً، وإنما أكّد أئمة أهل البيت ﷺ على القراءة، أي قصد القراءة، يعني قصد الحكاية لكلام الله (عزوجل)؛ وبناءً عليه فلا يصح قول: (آمين)؛ لأن (آمين) للدعاء، وهذا ليس دعاءً، وإن كان في الآيات دعاء، لكن المصلي أو قارئ القرآن أو قارئ الفاتحة -على ضوء إرشاد أئمة أهل البيت ﷺ- يجب عليه أن لا يقرأها دعاءً، ولا يقصد بها دعاءً. نعم، لا بأس بأن ينوي في نيته أن الله يهديه إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، هذا لا بأس أن يَخطر أو يُخطِرَ ذلك في باله، أما أن يقصد الإنشاء فهذا يخرج عن كونهِ قراءة، ويخرج عن كونه حكاية كلام الله (عزوجل).

إذن، فمن التوابع والتوالي أن لا أرفعَ يدي حين أقرأ سورة الفاتحة، فهذه إنما جاءت عند مَن لم يكن لهم هذا الإرشاد، ولم يتبعوا هذا الإرشاد عن أئمة أهل البيت ﷺ، بينما المسألة من الناحية الشرعية الفقهية في فقه أهل البيت ﷺ لا خلاف فيها، أن المصلي يجب أن يقصد قراءة كلام الله (عزوجل)، مثل رسالة جاءت من فلان إلى فلان، وإنما كُلِّف الرجل ولا علاقة له بالمرسل ولا المرسل

إليه، وإنما كُلِّف هذا الرجل أن يقرأ هذه الرسالة، كذلك في قراءة القرآن الكريم، ولا سيما قراءة القرآن الواجبة في فريضة الصلاة وغير الصلاة، إذا قصد قراءة القرآن أن يقصد القراءة ولا يقصد الدعاء؛ ولذلك لا يتمثل بأمثلة غير قرائية، يعني: بمثال الدعاء، أو مثال الداعي.

إذن، فبسط الأيدي في قراءة الفاتحة غير شيعية، هذا مبنيٌّ على فقه غير الشيعة من سائر المسلمين، فبسط الأيدي بالدعاء وقول: (آمين) في آخر القراءة هذان على مبنى مدرسة غير أهل البيت ﷺ، ولكن شاع هذا أخيراً -مع الأسف- عند الإخوة العراقيين؛ ولذلك أنا نبّهت لأني رأيت بعض الإخوة القائمين والذين دُعُوا إلى قراءة الفاتحة لأرواح الشهداء، وهذا هو الصحيح وليس على أرواحهم، القراءة للفاتحة ليست على روح فلان، وإنما ثوابه لروح فلان، وليس عليه، فـ(عليه) هذه إنما هي مقتبسة من القراءات الإنجيلية العربية للعرب المسيحيين في بيروت وغير بيروت، وهؤلاء يعبرون بـ(على)، وسرت هذه إلى غير المسيحيين، بينما في الفكر الإسلامي وفي الرأي الإسلامي يُقرأ القرآن لروح فلان، يعني لثواب روح فلان وليس على روحه، إنما المسيحيون يقولون تقام الصلاة على روح فلان، والصلاة -طبعاً- بمصطلحهم. هذه مسألة شرعية رأيت من اللازم التنبيه عليها؛ لقلة ما يُنبه عليها، بينما المسألة متفق عليها بلا خلاف.

ومسألة أخرى قلما تُذكر، وهي مسألة الصلاة على محمد وآل محمد، صلى الله عليه وآله وسلم، وهنا مكتوب

(وسلم)، صلى الله عليه وآله وسلم، هذه (وسلم) غير شيعية، أي أن الذي جاء في أخبارهم حسب تتبعي التتبع التام غير القاصر وغير المقصر أنهم إنما كانوا يؤكدون على ذكر (الآل) وليس على ذكر (وسلم). (وسلم) أصلاً ليست شيعية، فالذي جاء في أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام ولا سيما في المصادر الحديثية الأولى، أعني الجوامع الحديثية الأربعة، الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه، والجوامع الحديثية الأخرى المتأخرة، الذي جاء في نصوصهم حسب النسخ الخطية القديمة صلى الله عليه وآله، بلا (وسلم)، لماذا؟ ؛ لأنهم فسروا الآية الكريمة: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿الأحزاب/ ٥٦﴾ ليس بـ(سلموا عليه تسليما)، وإنما سلموا له تسليما، يعني: كونوا مسلّمين لأوامره، وهذا ما جاء في تفسير علي بن إبراهيم القمي عن الامام الصادق عليه السلام، وفي تفسير العياشي وفي مجمع البحرين للمرحوم الشيخ فخر الدين الطريحي، وفي كثير من التفاسير، جاء التذكير بكليهما. ولكن هذا من باب الجمع، كما يقولون: الجمع مهما أمكن أولى من الطرح، وإلا لو كان بتتبع فليس هناك أي خبر -لا مرسل، ولا مرفوع، ولا مقطوع- عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بـ(وسلم)، وإنما المروي عنهم: (سلموا له تسليما): أي كونوا مسلّمين لأمره، والخبر في تفسير العياشي، أن الامام الباقر عليه السلام في المسجد الحرام والخطيب على منبر الجمعة، وقد قرأ الآية بذلك المعنى، أي: (وسلموا تسليما): سلموا على رسول الله تسليما بعد الصلاة. وهذا خلاف البلاغة العربية؛ لأن الصلاة أعلى من التسليم بلا

خلاف، الصلاة أعلى وأقيم وأنبل وأكمل من السلام، السلام رتبة أدنى من الصلاة، والبلاغة العربية تقتضي المبالغة، وتقتضي الترقّي وليس التنزّل، (صلوا عليه وسلموا)، لا (سلموا عليه وصلوا).

إذن، فهذا يدل على أن (سلموا) -كما قال أئمة أهل البيت عليهم السلام- ليس بمعنى السلام عليه بعد الصلاة، وإنما بمعنى التسليم له، وهذا في سورة الأحزاب، فهناك كثير من الابتلاءات والامتحانات التي عرضت -في ذلك العصر- للمؤمنين والمسلمين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ لذلك جاءت هذه الآية بهذه الكيفية، (وسلموا) له. لأن الرسول صلى الله عليه وآله أمر بخصائص له، من قبيل أن يتزوج زينب بتلك الفتنة الاجتماعية التي حصلت بإثارة من بعض المنافقين، وتحريم أزواجه على غيره من بعده إلى درجةِ أن طلحة بن عبيدالله التيمي قال: أ فيتزوج نساءنا ولا نتزوج نساءه؟!، والله لنجولنَّ بين خلاخيلهن إذا مات محمد؛ لذلك جاءت الآية لتقرع هؤلاء، تقول: (وسلموا له تسليما)، وليس بمعنى: سلموا عليه سلاما.

إذن، فنحن نفهم الصلاة -كما جاء عن أئمتنا عليهم السلام- (صلوا عليه وسلموا تسليما)، بمعنى: صلى الله عليه وآله، نعم، نكون مسلّمين لأوامره، وليس هذا مقام السلام هنا.

وهناك كلمة من بعض الاخوة قد غفلوا عن ضبطها، وهي كلمة (غَرَوي) وليست كلمة (غُرَوي)، ولا علاقة له بالغُرة، وإنما (غَرَوي) نسبة إلى كلمة الغَري، بمعنى المكان المغروء المطلى بسائل مثل الصبغ أو الدم، وله قصة تاريخية مذكورة

في معجم البلدان لياقوت الحموي، ومناسبة كلمة الغروي أن النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان يخرج من الحيرة إلى صحراء النجف، إلى ضفاف بحيرة النجف القديمة، وكان فيها مزارع القصب، وفي مزارع القصب الكثير من الصيد، سواء من الظبي أو أمثال الظبي، وكان له نديمان ينعشانه ويؤنسانه في سهراته في الليالي، وكان يحبهما، ولكنه في إحدى الليالي قد سكر فأمر بضرب أعناقهما، وكان الرجل فاتكاً سفاكاً صداماً هداماً، ولذلك كانوا يخافون منه أن يتخلفوا عن أمره، فضربوا أعناقهما وقتلوهما، وفي الصباح وكان صباح يوم الثلاثاء، شعر بشيء وسأل، فقالوا له القضية كذا وكذا، ولذلك أراد أن يثبت أنه لم يقتلهما عن عداء وإنما كان يحبهما؛ لذلك أمر بدفنهما قائمين، فدفنا قائمين، فقال: أي يوم هذا؟، قالوا: يوم الثلاثاء، قال: هؤلاء أخذتهم نحوسة يوم الثلاثاء، وهذه بداية ذكر النحوسة ليوم الثلاثاء في التاريخ العربي، وأمر أن يقف الشرطة في صحراء النجف الأشرف، فإذا مرّ هناك مارٌّ في يوم الثلاثاء يؤخذ فتضرب عنقه ويصبغ بدمه قبراهما، وبحجة أنه يريد أن يرى قبريهما مشرقين أمام طلعة الشمس من جانب الحيرة (من جانب الكوفة) إلى جانب النجف وهو مقيم في قصريه الخورنق والسدير، والسدير كلمة فارسية (سي-دير) وتعني ثلاث دوائر، الدائرة الوسطية (الحرم)، والدائرة الوسطية (الرواق)، والدائرة العامة (القلعة) أو (الصحن)، الصحن والرواق والحضرة؛ ولهذا يتّهم الدكتور أحمد أمين المصري الشيعة في بناءهم لعتبات لأئمتهم عليهم السلام أن هذه العتبات تنقسم

على حرم ورواق وحضرة، وهذا اقتباس من قصر السدير أو السدير بالعربية، وأصل كلمة (خورنق) بالفارسية (خور نكاه)، وتعني: المطعم، وهذه عُرّبت وصارت (خورنق).

فهذا الرجل يقول: أنا أريد من هناك حينما تشرق الشمس أرى القبرين؛ ولذلك أصبحت المحلتين اليمين والشمال، على طرفي مرقد أمير المؤمنين ﷺ، محلة البراق والمشراق، إشارة إلى بريق الشمس على القبرين، وشروق الشمس أيضا على القبرين، وإلى الآن هذه التسمية باقية. وتدخلون في وادي السلام وترون كثيراً من القبور القائمة بطول متر ونصف، ومحناة أطرافها بحناء، وكذلك أبواب المساجد وأبواب الجوامع وأبواب الإمام محناة، وهذه أيضاً باقية من صبغ الدم على القبور من ذلك الوقت، لكن الإسلام غير الدم إلى الحناء، قال لهم: الدم نجس، ولذلك غيروا الدم إلى التحنية على القبور، هذا أصلها، ومن قلة ما تذكر هذه الأمور لا يعرفها العرب الذين يعيشون في هذه البقاع.

وأيضاً إلى جانب هذا لمّا جاء الصفوية على الحكم، واصطلحوا مع الدولة العثمانية في أن الشيعة الإيرانيين يريدون أن يزوروا قبور أئمتهم هنا، وكان منهم من يبقى، ومنهم من يبقى لطلب العلم، فإذا بقي الإيراني مدة في هذه العتبات يقال له: نجفي أو كربلائي، أما إذا كان من أهل العلم فهل يقال له: نجفي أو كربلائي بلا تمييز؟، ولذلك جرى الاصطلاح -من قبل خمسمائة- سنة بين العلماء والدولة الصفوية أن الطلاب الذين يبقون في النجف يُسَمَّونَ (غَرَوي) نسبة إلى الغَري، والغريان أرض

الغريين، فخففوها من التثنية إلى المفرد، فصارت أرض الغري، قال الشاعر:

- يا برق إن جئت الغري فقل له: أ تراك تعلم من بأرضك مودعُ؟

... إلى آخر هذه القصيدة العينية لابن أبي الحديد المعتزلي، وهي مكررة ثلاث مرات في صحن الإمام أمير المؤمنين ﷺ، مرة في القبة الداخلية وتُرى من داخل الحرم، ومرة في الكتيبة المفضضة حول ضريح أمير المؤمنين ﷺ على شكل دائري، أي حول الشباك الشريف، ومرة ثالثة كانت حول الكشوانيتين: الجنوبية القبلية، والشمالية صوب باب الطوسي صوب كربلاء المقدسة، في الكاشي حول الكشوانيتين. وعلى أثر الضربات التي حصلت أيام دخول الامريكان إلى صحن الإمام أمير المؤمنين ﷺ، والتضارب الذي حصل؛ لذلك غيروا الكاشي وغيروا هذه القصيدة إلى بعض الأخبار المروية بشأن أمير المؤمنين ﷺ.

وهنا أقول: أصبحت (أرض الغري) تعني: أرض المغروِّ بالدم بأمر النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة، وأصبح الساكن في كربلاء من أهل العلم يقال له: حائري؛ نسبة إلى حائر الحسين ﷺ، وإذا كان كاظميا فكاظمي، وإذا كان في سامراء، يقيم في سامراء يقال له: عسكري، ومنه العلامة السيد مرتضى العسكري، لا لشيءٍ إلا لأنه كان متولداً ومقيماً إلى مدة في سامراء مع أخواله بيت نجم الدين (العسكري) أيضاً، الشيخ نجم الدين العسكري المؤلف القدير، وجدّه المرحوم ميرزا محمد الطهراني الشريف العسكري أيضاً.

على كل حال، هذه مصطلحات جرَت وتنسى، وأحياناً لا تُقرأ على كيفياتها الخاصة.

وأعود إلى صلب الموضوع، كما كان يصطلح عليه المرحوم الشيخ الدكتور الوائلي (رضوان الله تعالى عليه)، وأما صلب الموضوع – وسأختصر؛ فقد جرت أحاديث طفيلية، وإن كان الطفيلي يأتي في الأخير، أي لاحقا، وهذه الطفيليات صارت مقدمة– فأقول: في مجالسنا ومحافلنا –وإلى الآن– فإن قضية الغدير وآياتها تُقرأ بهذه الكيفية: أن رسول الله ﷺ بعد حجة الوداع وصل إلى مشارف غدير خم، ونزلت عليه ﷺ آية التبليغ، الآية السابعة والستون من سورة المائدة، وقطعا فإن رسول الله ﷺ مخول بمكان التبليغ وزمان التبليغ، هذا موكولٌ إلى رسول الله ﷺ، فأحكمْ بينهم بما أراك الله (عزوجل)، كذلك اعملْ بما أراك الله (عزوجل) حين ينزل عليك الآيات، فهو مخول في (متى وكيف يبلغها)؛ ولذلك أخّرها إلى أن نزلت –ومع الأسف، وأنا أحكي ما حصل وإلى الآن، ونحن الآن في حي الإصلاح، وكأني أريد الإصلاح في كيفية قراءة هذه الأخبار– أن رسول الله ﷺ أخّر ذلك، فنزلت تتمة الآية الكريمة: ﴿ وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾، وأخّر رسول الله ﷺ مع ذلك مرة أخرى إلى أن نزلت تتمة الآيات التتمة الثانية، أي القسم الثالث من الآية، ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾، حينئذ لمّا وجد الطمأنينة من الله سبحانه وتعالى على أن يعصمه من شر أصحاب الفتن، حين ذاك أمر مَن تقدّم أن يتأخّر، ومن تأخّر أن يتقدّم، وانتظرهم قرب الجُحفة، ميقات من

مواقيت الحج، قريبة من جدة، بين جحفة وجدة موقع الغدير، والغدير في العربية (فعيل) بمعنى المفعول، يعني: مغادر عنه الماء، يعني: مسيل، يأتي السيل فيمر على هذا المكان المنخفض، فيأخذ شيئاً من الماء فيعبره فيكون غديراً، يعني: مغادراً عنه الماء، والماء أحوج ما يكون له المسافر، فهناك عمل بالآية الكريمة آية التبليغ، آية (٦٧) من سورة المائدة، ولما أكمل التبليغ نزل عليه جبرائيل عليه السلام بالآية الثالثة من السورة، أي: بعد (٦٧) آية صار الرجوع إلى آية الثالثة، وأنا أحكي عن ما اشتهر في مجالسنا ومحافلنا، الآية الثالثة من سورة المائدة ما هي؟، وأعني قسما منها وليس كلها، ﴿ اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾، فقال -بناءً على الخبر- رسول الله صلى الله عليه وآله: الحمد لله على كمال دينه وتمام نعمته، ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وجاءه أعرابي يسوق مركوبه، لأنهم اختلفوا في مركوبه هل كان جملا أو ناقة أو بغلا -أجل الله الحاضرين-، وقال: يا محمد (وكأنه غير مسلم، وكأنه لم يشهد الشهادتين، وكأنه لم يحضر الحج مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يلبي نداء رسول الله صلى الله عليه وآله، نداء منادي رسول الله صلى الله عليه وآله بالحج إلى بيت الله الحرام)، وقف وقال: يا محمد أمرتنا بالصلاة فصلينا وبالصوم فصمنا وبالحج فحججنا هذا معك، فلم تدع حتى رفعت الظبع بظبع ابن عمك علينا وأمّرتهُ علينا، فهل هذا من عندك أم من الله؟، فرفع يديه وقال: اللهم اشهد أن هذا من عندك، فقال هذا الرجل الأعرابي، واختُلِف في اسمه على ستة أو سبعة أسماء

جمعها أخونا الشيخ علي الكوراني في كتابه الذي يقع في خمسمائة صفحة باسم (آيات الغدير)، فاختلفوا في الاسم، وهذا أمر طبيعي، فكل واحد يدفع عن نفسه، هذا أمر طبيعي، وما دمنا نحن في التأكيد على السيرة النبوية الشريفة فهذا أمر طبيعي في السيرة النبوية الشريفة في نقاط الإشكال والنقد والضعف، فإذا كان أحد يُذكر بشيء يُفخر به، يُذكَر فيُشكَر، فهذا يتنازعون على اسمه، كل واحد يجرّ النار إلى قرصه، ولكن إذا كان العكس فماذا؟!، فكل واحد يدفعه عن نفسه، ويدفعه عن أهله وعائلته ورهطه؛ ولذلك تختلف الأسماء في تفسير آيات المنافقين وما شاكل ذلك، ومنها هذا المكان، ولكن الاسم المعروف والمشهور حارث بن النعمان الفهري، وقال بعضهم: حارثةُ بن النعمان الفهري، وفهر من القبائل العربية القرشية، وقد كانت وقت بعثة الرسولﷺ عند ظهور الإسلام ثماني عشرة قبيلة، وهو الأولى والقدر المتيقن، وقال بعضهم: أربعين قبيلة، فعندما عقدوا صحيفة المقاطعة، كان فيها أربعون خاتما على صحيفة المقاطعة. ولكن الأثبت تاريخيا ثماني عشرة قبيلة قرشية في مكة المكرمة، ومنها قبيلة فهر، وفهر بمعنى الحجارة العريضة ليست المربعة أو المدورة، لا، إذا كانت رقيقة نسبيا وعريضة يقال لها: فهر، على أي حال، فقال: اللهم إذا كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائْتِنَا بعذاب أليم، بمعنى: اننا لا نستطيع أن نتحمل ولاية الإمام علي عليه السلام. واتفاقا ظهر طير من طيور أبابيل وأسقط على رأسه حجارة كالعدسة، فدخلت من رأسه وخرجت من أسفله وسقط ميتا.

فنزل جبرائيل على رسول الله ﷺ وقرأ: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴾ ﴿ المعارج/ ١-٢ ﴾.

ولنبدأ بالإشكال من هنا، فقد أشكلوا علينا أن سورة المعارج مكية، ولا خلاف في مكيتها، فكيف تكون قد نزلت يوم غدير خم؟ ، فهي من المكيات الأوائل، ومن عُتَّق المكيات، فكيف تقولون: نزلت بشأن إنكار الرجل لولاية الإمام علي عليه السلام؟ . وأما جواب هذا فلنرجع إلى الإشكال السابق وهو قولهم: كيف تأتون إلى الآية (٦٧) وترجعون إلى الآية الثالثة في السورة وكأنها أنزلت بعد الآية (٦٧)؟، والجواب على هذا كله بأن سورة المائدة -كما ورد في الخبر المعتبر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير العياشي- نزلت دفعة واحدة على رسول الله ﷺ عشية عرفة بعرفات، والرسول مستعد للإفاضة من مشعر عرفات، أو منزل عرفات، موقف عرفات، إلى الموقف الوسطي، أي: المشعر الحرام (المزدلفة)، والمزدلفة يعني متقربة، متقربة إلى مكة المكرمة، وإلى الكعبة المشرفة، وإلى الحرم؛ لأن عرفات خارج الحرم، وكما ورد في الأخبار والروايات: كأنما الحاج يؤمر أن يخرج من الحرم فيستأذن للدخول، يتوب إلى الله، ويعترف بمقر عرفات، يعترف بخطاياه وذنوبه، فيستأذن ربه للدخول إلى حرمه فيدخل في نهاية موقف عرفات إلى الحرم، والمشعر الحرام (المزدلفة)، فرسول الله ﷺ متحضر لهذا الأمر وإذا به قد أخذته حالة الوحي يعني حالة الغشية، أو شبه الغشية التي كانت تأخذ رسول الله ﷺ حين الوحي، فلما

سُري عنهُ بدأ يقرأ سورة المائدة.

إذن، فالآيات ليست مقطعة بالمقص قطعة قطعة، وإنما كما في هذا الخبر المعتبر الذي تبناه فيمن تبناه من علماء المفسرين الذي هو حجة في التفسير المرحوم العلامة حجة الإسلام السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير (الميزان)، وليس الرجل سهلا في تناول الأخبار، ولكنه حصل على كمية يعتد بها من القرائن المقوية المؤيدة لمضمون هذا الخبر، أن السورة نزلت عليه دفعة واحدة، وليست كل السور نزلت دفعة واحدة إلا السور القصار في الجزء الأخير من القرآن الكريم، نعم؛ لأنها قصار فلم يفُصل فيها بين جزء وجزء، ولكنْ كلما نرجع إلى السور كلما كانت أكثر وأطول وكان التقطيع بين الآيات أكثر، فهناك سور طوال خصت بأنها نزلت دفعة واحدة، منها سورة الأنعام المكية في أوائل ما بعد البعثة وقبل الهجرة بكثير، وسورة المائدة الأخيرة نزولا على رسول الله ﷺ، هاتان السورتان من السور الطوال، ولكنها نزلت دفعة واحدة، على الرغم من أنها طويلة ولكن لم يقطع بينها.

ولنتناول الآيات واحدة واحدة، فالآية الأولى أعني الآية الثالثة من السورة، آية الإكمال، نعم، هذه الآية قالت: (أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي)، فالظاهر أن (أكملت) و(أتممت) أفعال ماضية، بمعنى: في السابق حصل الإكمال وحصل الإتمام، ولكنْ هذا إذا لم نقرأ العربية بالكمال والتمام، هذا إذا قرأنا العربية مثل ما قال القائل:

حفظت شيئا وغابت عنك أشياء؛ ففي العربية في كتب
البلاغة وفي باب المعاني تنصيص على أن كثيرا

من الأمور المحتم وقوعها والحتمية الوقوع تُذكر بلفظ الماضي، بينما لا شك أن هناك أدلة كثيرة على عدم وقوعها في الماضي وإنما وقوعها في المستقبل، وهذا ليس بدعاً في العربية، ولماذا هذا الاستعمال؟ ؛ للتأكيد.

فـ(أكملت لكم دينكم) يعني: سأكمل لكم دينكم، بماذا؟، بما سيأتي في الآيات التالية. وأما (اليوم) في العربية فليس فقط بمعنى أربع وعشرين ساعة، أو بمعنى اليوم والليلة، أو بمعنى الليل والنهار، وإنما هناك معانٍ عديدة، ومنها يوم (صفّين)، استمرّ سنة ونصف، أي: ثمانية عشر شهرا، والإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام وجيش أهل الكوفة في صحراء الشام، فكل هذه المدة تسمى يوم صفين، ويوم صفين يوم واحد. وهكذا نجد المرحوم السيد الخوئي في كتابه (البيان في تفسير القرآن) -الذي لم يكتب غير المجلد الأول منه- يذكر بمناسبة اليوم معاني اليوم في العربية، ومنها اليوم بمعنى: في هذا الزمان، ومنها آيات خلق السموات والأرض في أيام ستة أو سبعة، كل ذلك بمعنى: الزمان أو أدوار من الزمان، كذلك اليوم في (اليوم أكملت لكم دينكم)، أي: في هذا الزمان، بمعنى: زمانية حجة التمام وحجة البلاغ وحجة الوداع لرسول الله صلى الله عليه وآله، في هذه المناسبة سأكمل لكم دينكم. وحتى سورة: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾، فليس بمعنى: أعطيناك في الماضي، بل بمعنى: سنعطيك؛ لأن المعنى الصحيح للكوثر هو الخير الكثير، والمرحوم العلامة الطباطبائي يذكر عشرين معنى للكوثر في تفسيره، وليس منها ولا واحد يشير إلى فاطمة عليها السلام، ومن أولى وأحرى من السيد محمد حسين الطباطبائي

ليذكر فاطمة لو كانت مذكورة في التفسير؟!، ولكن حصل هنا اشتباه رقيق ودقيق، وهو أن الكوثر بمعنى النسل الكثير الطيب الحاصل ممن؟، من فاطمة الزهراء ﷺ، ففاطمة الزهراء ﷺ منبع الكوثر وأصل الكوثر وليست هي الكوثر، الكوثر نسلها الكثير الطيب، فكذلك (إنا أعطيناك) هناك بمعنى: سنعطيك، وهل النسل الكثير الطيب أعطي كله لرسول الله ﷺ من قبلُ أو سيعطاه إلى يوم القيامة؟! ، أو على الأقل إلى القيامة الصغرى، إلى ظهور الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف)، واليوم هو الجمعة، اليوم قد يظهر (عجل الله تعالى فرجه)، (وهو يومك المتوقع فيه ظهورك والفرج فيه للمؤمنين على يديك وقتل الكافرين بسيفك)، إلى آخر الدعاء.

ونرجع فنقول: (اليوم) بمعنى هذا الزمان، و(أكملت لكم) يعني: سأكمل لكم دينكم وأتم عليكم نعمتي، كيف؟ . وهنا اسمحوا لي أن نرجع رجعة بسيطة، فمن جملة ابتلاءاتنا كشيعة أننا إذا وصلنا إلى مفترق طريق في منقبة من مناقب أهل البيت ﷺ وفيها خبران، منّا ومن غيرنا، فأكثر شيء عند كتابنا وعلمائنا السابقين –مثلا– أنهم كانوا يرجعون إلى أي خبر؟، ومن أي طرف؟، من طرف السنة، لماذا؟ ؛ جريا على قاعدة (الفضل ما شهدت به الأعداء)، يقولون: جاء الخبر عن واحد من أهل البيت ﷺ من الطريقين، فلماذا لا ننقل عن طريق غيرنا ليكون نوعا من الاعتراف بنا؟، لأننا حينما ننقل خبرنا يقولون: هذا شيعي ينقل خبر الشيعة، وفي هذا إشكال. وهذه

واحدة من مشاكلنا، كيف؟.

إن المرحوم المجلسي في بحار الأنوار قد فتح بابا، نعم، ليس فيه إلا ثلاثة أخبار، لكنه باب، وفيه ثلاثة أخبار عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تنبّه على هذا الأمر، ومعناها: أنه لا تنقلوا فضائلنا من غيرنا، ومن تلك الأخبار خبر معتبر للمرحوم الشيخ الصدوق في كتابه (عيون أخبار الرضا عليه السلام) عن إبراهيم بن أبي محمود، وهذا من ثقات أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، ينقل عن الرضا عليه السلام قوله: خذوا مناقبنا منا ولا تأخذوها من غيرنا فإنهم ينقلونها ويضعون فيها ما ينسفها. فمثلا في مثل هذه الأيام (٢٤) و (٢٥) من ذي الحجة يوم التصدق بالخاتم ونزول آية: ﴿إنما وليكم الله﴾ ﴿المائدة/ ٥٥﴾ -بناء على هذا الخبر المعروف غير الصحيح-، ويوم المباهلة، ويوم نزول: ﴿هل أتى﴾ ﴿الإنسان/ ١﴾، وفي نزول: ﴿هل أتى﴾ يقولون: كان الصيام ثلاثة أيام، والحسنان عليهما السلام -من الجوع- وصلا إلى حد الارتجاف، وهذا خبر الزمخشري في تفسيره ينقله عن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه): في اليوم الثالث كان الحسنان عليهما السلام يرتجفان كالسعفة من شدة الجوع. ثم إن ابن تيمية يدخل في الإشكال ويقول: هل هذا يجوز؟!، أو ليس القرآن يقول: الأقربون أولى بالمعروف؟!، أو ليس رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا صدقة و ذو رحم محتاج؟!، فكيف يتصدق علي وفاطمة والحسن والحسين وهم أحوج؟! . بينما في طرقنا لا يوجد خبر التصدق (في ثلاثة أيام)، إنما الخبر خبر واحد ليوم واحد، ففي تفسير

علي بن إبراهيم القمي أنهم صاموا يوما وفي الليل عند الإفطار جاءهم مسكين ويتيم وأسير، فقسموا إفطارهم لهذا ثلاثة أقسام وأنفقوها وطووا جائعين لم يفطروا إلا بماء. فليست (ثلاثة أيام)، وليس الحسنان يرتجفان كالسعفة من شدة الجوع. انظروا إلى هذه المناقب، نقلوها ولكن جعلوا فيها مسمارا لنسفها.

وكذلك هنا في قضية التصدق بالخاتم، فرسول الله ﷺ لما توجه إلى حجة الوداع بأمر الله سبحانه وتعالى أرسل عليا عليه السلام من قبله إلى اليمن، إلى نجران اليمن، ليجمع منهم أول دفعة جزية، أول قسط من جزية نصارى نجران، وهنا خطأ آخر، يذكرون أنه في يوم (٢٤) من ذي الحجة من السنة العاشرة كان يوم مباهلة نصارى نجران، وبناء على هذا –إذن– تصبح المباهلة بعد الحج؛ لأن الحج في السنة العاشرة، فبعد الحج حدثت المباهلة! . بينما في أخبارنا أن الإمام عليا عليه السلام قبل الحج ذهب إلى اليمن، ذهب إلى نصارى نجران حتى يأخذ الدفعة الأولى من الجزية. إذن، فلا بد من أن تكون المباهلة على الحد الأقل في سنة سابقة بدل السنة العاشرة، كالسنة التاسعة للهجرة، كانت مباهلة نصارى نجران، فكان عليهم أن يؤدوا البُرد اليمانية وما شاكل من بقية موارد المصالحة، وكانت المصالحة مقسومة على قسمين، أعني أن رسول الله ﷺ قسّطها تخفيفا عن نصارى نجران على قسمين، قسم يؤدى إلى محرم وصفر أول السنة القمرية العربية، والقسم الآخر يؤدى –تقريبا– في منتصف السنة، وتقريبا في شهر رجب في منتصف السنة القمرية العربية، ورسول الله ﷺ أرسل الأمام

عليا ﷺ، بمعنى: أن المباهلة حصلت في آخر السنة القمرية التاسعة، ولأول السنة العاشرة بدأ رسول الله ﷺ بحجه، وبدأ أمير المؤمنين ﷺ بأمر رسول الله ﷺ بالسفر إلى اليمن ليأخذ قسطا من الجزية، وأخذ أقساط الجزية ورجع بها ووصلته رسالة رسول الله ﷺ أن لا يتوجه إلى المدينة، بل يتوجه إلى مكة المكرمة، ومكة المكرمة على منتصف الطريق بين اليمن والمدينة؛ لأن مجموع المسافة ألف كيلو متر، والمدينة إلى مكة المكرمة قرابة خمسمائة كيلو متر، ومنها إلى اليمن أيضا قرابة خمسمائة كيلو متر، فرجع الإمام علي ﷺ ومعه جمع من الصحابة، ومعهم هذه البرود اليمانية، ونزل على مشارف مكة المكرمة، والحج في الإسلام ثلاثة أنواع: حج التمتع، والقران، والإفراد، ورسول الله ﷺ حج بالقران، أي أنه قرن بينه وبين ضحاياه ستين بدنة أو سبعين بدنة، وأمير المؤمنين ﷺ إنما أحرم بنية مجملة على إحرام رسوله، ولم يتعين أي إحرام هو، أ هو إحرام التمتع أم القران أم الإفراد؟، فأوقفهم خارج المدينة أي مكة المكرمة، ودخل إلى مكة المكرمة إلى رسول الله ﷺ، وهناك أتم حاجته ورجع إلى خارج مكة ورآهم قد أحلوا الأحمال وأخرجوا البرود واتّزروا بها وأحرموا بها، فغضب أمير المؤمنين ﷺ وأخرجها من أيديهم، فإنه من دون إذن رسول الله ﷺ، كيف تحرمون إحرام الحج إحرام العبادة كيف تحرمون من دون إذن رسول الله ﷺ؟!، فأخذها منهم وأدخلها، أي: ردها في الأحمال، ولما دخل أمير المؤمنين ﷺ إلى مكة المكرمة وذهب إلى المسجد الحرام، وهنا أقول: إن الزمخشري كذلك في تفسيره عندما يصل

إلى هذه الآية: ﴿إنما وليكم الله﴾ ﴿الآية/ ٥٥﴾ من سورة المائدة يروي الخبر، والظاهر أنه ينسبه إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) أو رجل آخر من الصحابة، لعله أبو ذر الغفاري (رضوان الله تعالى عليه)، جاء الخبر: أن عبد الله بن سلّام، الذي نحن نقرؤهُ سَلَام، ولكن السنة يروون أن رسول الله ﷺ قال له: سلام اسم الله، وأنت أسلمت فلا تقل: عبد الله بن سَلَام، بل قل: عبد الله بن سَلّام، لكي يختلف الاسم عن اسم الله، فالله الملك القدوس السلام ... إلخ؛ ولذلك لمّا نقول: محسن بن علي أصبح سقطا، فأولئك يذكرون اسم مُحسِن، لكنهم يذكرونه: مُحسِّن بن علي، والعلامة السيد محمد مهدي الخرساني النجفي يقول في كتابه الذي يقع في خمسمائة صفحة: المُحسِنُ السِبط مولودٌ أم سِقط؟؛ فكثير من السنة قالوا: إنه مولود ولادة طبيعية، ولكن لأنه كان خديجا، أي: غير مكتمل للخلقة، لأنه ولد وعمره ستة أشهر لذلك مات، أطال الله في عمر السيد الخرساني النجفي، إذ إنه بحث الموضوع بحثا شافيا وافيا كافيا في هذا الكتاب، وقد كان شاهدي على كلمة (مُحسِّن).

ونرجع فنقول: عبد الله بن سلّام هو وجماعة معه -بناء على الخبر- سألوا رسول الله ﷺ: إذا كان كونٌ فإلى من الأمر؟، فأخذت رسول الله ﷺ حالة الوحي، فسرّي عنه الوحي، فأشار إليهم ليقوموا معه إلى المسجد، وفي باب المسجد رأوا فقيرا أو مسكينا وبيده خاتما يقول: من يشتري مني هذا؟، فقال له رسول

الله ﷺ: ما شأنك؟، وما شأن هذا الخاتم؟، فقال: ذلك المصلي أعطاني هذا الخاتم، وكان المصلي عليّا عليه السلام، فكبّر رسول الله ﷺ الله أكبر، وكبّر من معه، ثم تلا الآية: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (٥٥) من سورة المائدة.

إذن، فالآية -حسب ذلك الخبر- نزلت في المدينة، بينما الآية نازلة في مكة المكرمة في حجة الوداع، فكيف ذهبت إلى المدينة؟! .

أما الخبر الصحيح فالمرحوم السيد ابن طاووس في كتابه (الإقبال)، ويوجد أحد علمائنا في القرن السادس -أي: في الستمائة، أو بعد الستمائة- من علماء الشيعة في الشام وهو ابن أبي طيّ، له كتاب باسم (كتاب الطي والنشر) في ذلك الكتاب -والكتاب مفقود- وإنما وصل إلى يد المرحوم السيد ابن طاووس الحسني الحلي، وهذا في كتابه (الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يُعمل مرة في السنة)، وهو في ثلاث مجلدات، وكل مجلد خمسمائة صفحة، في الأعمال العبادية التي تعمل في السنة مرة واحدة، على أية حال، فهناك يأتي بهذا الخبر: عن عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أن أمير المؤمنين عليه السلام كان قد جلب معه من اليمن خاتم عقيق، ودخل المسجد الحرام في وقت العصر يصلي صلاة نوافل وليست صلاة فرائض، أو صلاة جماعة، وإنما في نافلة، وإذا بهذا الفقير رفع يده وقال: اللّهم اشهد إني سألت عبيدك هنا في البيت الحرام في بيتك الحرام ولم يعطني أحد شيئا، فسمعه أمير المؤمنين عليه السلام وهو في حالة الركوع، فأشار إليه وأخذ الخاتم من يده. هذا في يوم التروية،

أي اليوم الثامن من ذي الحجة، وليس اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة، في اليوم الثامن من ذي الحجة وبعده بيوم أي: يوم عرفة، أي: بداية مناسك الحج نزلت سورة المائدة تؤشر إلى هذه القضية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٥٥) من سورة المائدة.

إذن، فالآية قالت: وليكم الله، وبعد الله رسوله، وبعده وليّه هذا المؤمن بهذه العلامة، هذا المؤمن الذي صلّى وزكّى في حال الركوع، هذا وليُّكم، وبعد ما يقرب من عشر آيات، أي: في الآية سبعة وستين قالت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٦٧). فهذا الذي أُنزل إليك بتعيين الولاية لعلي عليه السلام الذي صلى وزكى في حالة الركوع بلغه إلى الناس. إذن، فالآيات أصبحت مرتبطة وهي في محلها في السورة، بدون تقديم وتأخير.

وأما الآية الثالثة آية الإكمال، نعم، فقد نزل جبرائيل بعد إبلاغ رسول الله صلى الله عليه وآله، لكن النزول نزولان كما يقول العلامة الطباطبائي ويلتزم بهذا ويتبناه، نزول تأسيس، أي: نزول أولي، ونزول تذكير وتطبيق مصداقي، فهذه الآية الثالثة في السورة -التي نزلت عليه قبل عشرة أيام في يوم عرفة- الآن (يوم الغدير) صار مصداق ما وعدك الله في أول السورة، (أكملت لكم دينكم)، أي: سأكمل لكم دينكم، بمعنى إبلاغ الولاية. إذن، فليس في السورة تقديم أو تأخير أو قص للآيات.

وأما سورة: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾، فهي أيضا من باب النزول التذكيري التطبيقي المصداقي، أي أن جبرائيل الذي نزل بهذه السورة قبل عشرين سنة الآن يقول: هذا الأعرابي يقول مثل ذاك الأعرابي الذي وقف بالعظم الرخوة على رسول الله ﷺ وأنكر المعاد وقال: (اللهم إن كان هذا هو الحق)، فنزلت الآية، كذلك هذا مثل ذاك من حيث التطبيق المصداقي، وليس نزولا تأسيسيا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجمعة الموافق
كربلاء المقدسة . مجمع الكفيل الثقافي . حي الاصلاح

٤

الندوة الرابعة

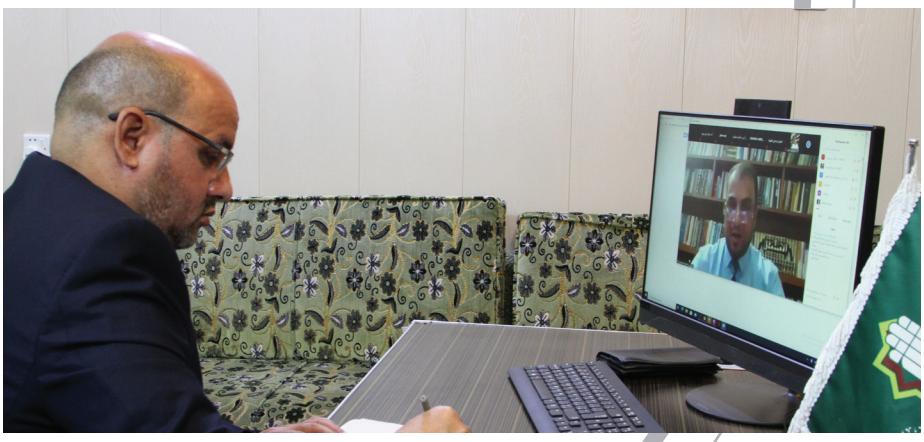

- افتراء الأمية على الرسول محمد ﷺ كشف وتحقيق في ضوء نشأةِ اللغة والقرآن الكريم*

- أ.د.علي عبد الفتاح الحاج فرهود الحسناوي

- تم عقد الاجتماع الالكتروني على برنامج zoom في قاعة دار الرسول الأعظم ﷺ

- يوم الجمعة الموافق 2020/8/21م

*هي الندوة الرابعة التي كان من المتوقع ان تعقد في نهاية سنة ٢٠١٩،وقد حالت الظروف القاهرة دون انعقادها في وقتها المحدد.

الملخَّصُ:

أُقدِّمُ بثقةٍ بحثيَ الإنصافيَّ (افتراءُ الأُميَّةِ على النبيِّ محمدٍ ﷺ : كشفٌ وتحقيقٌ في ضوءِ نشأةِ اللغةِ، والقرآنِ الكريم) بحثًا تحقيقيًّا موضوعيًّا مجرَّدًا عنِ الانحيازِ التقليديِّ، قِوامُه الكشفُ الاستدلاليُّ لتمكنِ النبيِّ محمدٍ ﷺ لَدُنيًّا من (القراءةِ، والكتابةِ) في ضوءِ العرضِ اللازمِ موضوعيًّا لنشأةِ اللغةِ من جهةٍ ؛ كونَها كانت مذ نشأ الإنسانُ الأولُ على الأَرضِ بأَمرِ اللهِ تعالى، والتوثيقِ القرآنيِّ من جهةٍ أُخرى، وردِّ الأباطيلِ، والتزويرِ، والقراءاتِ الاستدلاليةِ الخاطئةِ التي (ابتدعت نصوصًا ووقائعَ، وفهمت عكسَ المرادِ من نصوصٍ أُخَرَ) ؛ إذ أكدت الحقائقُ المتجليةُ بحثًا في نشأةِ اللغةِ الإنسانيةِ، والحقائقُ القرآنيةُ أَنَّ (القراءةَ، والكتابةَ) من لوازمِ الحياةِ الساميةِ للإنسانِ السامي التي بها وُجِدَ، وبها يدعو ويُناجي ويسألُ، وبها يتواصلُ، ويتحاورُ، ويُراسِلُ، ويوثِّقُ، ويَفهَمُ، ويُجيبُ، وبها يَحكُمُ ويُقاضي.

من هذه الحقيقةِ الثابتةِ تحصَّل لي أَنَّ القولَ بجهلِ النبيِّ محمدٍ ﷺ بالقراءةِ والكتابةِ – قبلَ النبوةِ أو بعدها – إنما هو جَهْلٌ وتجهيلٌ أَعمى نتيجتُه الدَعَواتُ المتواصلةُ للعَبَثِ في القرآنِ الكريم، وتحريفِه بحجةِ (عدمِ الجمعِ التوثيقيِّ للقرآنِ الكريم، وعدمِ الإشرافِ الشخصيِّ المباشرِ من النبيِّ ﷺ نفسه)، وأَنَّ القولَ بتمكنِه ﷺ من (القراءةِ، والكتابةِ) إنما هو الانتصارُ الفعليُّ اللازمُ للقرآنِ الكريم، وللنبيِّ العالميِّ الحضاريِّ محمدٍ ﷺ.

المقدمةُ:

ونحن نُطالعُ في مكتبةِ القرآنِ الكريم فإننا نَمضي نبحثُ بأُفُقٍ غيرِ محدودٍ ننتظرُ الآتيَ من التأليفِ ظنًّا منَّا بأنَّ الكتبَ، والدراساتِ، والبحوثَ التي كُتِبت وتُكتَبُ عنِ القرآنِ الكريم نفسِه، وعن مُبلِّغِه الأكرمِ محمدٍ ﷺ نفسه – على علوِّ كعبِها، وتميُّزِ قيمتِها – لم تُنجزِ المطلبَ الفصْلَ الذي به يكونُ كمالُ الأمرِ، وتمامُه. وهذا مما لا غروَ فيه ؛ لأننا نحن المخلوقين نقرأُ فيما يُكتَبُ عن كلامِ الخالقِ، وعمَّن كُلِّفَ تبليغَ كلامِه، ونكتُبُ في ميدانَيهما ؛ فأنَّى للعاجزِ أن يبلُغَ شيئًا من كُنهِ المُعجِزِ؟! ولا غروَ من ذلك إذ ((لا يشكُّ باحثٌ مطَّلعٌ في أنَّ القرآنَ أعظمُ معجزةٍ جاء بها نبيُّ الإسلامِ. ومعنى هذا أنه أعظمُ المعجزاتِ التي جاء بها النبيون والمرسلون جميعًا))[1].

وهذه حقيقةٌ نُقِرُّ بها نحن إيمانًا، لكنها لا تحولُ دونَ البحثِ القرآني والتحقيقِ لتصحيحِ (الفهمِ الخاطئِ) عنِ النصوصِ القرآنيةِ ؛ فالبحثُ هُويَّةُ الإنسانِ، وطالبِ العِلْمِ. وهو بحثٌ وتحقيقٌ قد أمر به الإلهُ المعجِزُ نفسُه ؛ ليصِحَّ إيمانُنا به ونحن نُناجيه بعِلمٍ.

من هذا المبدأ كنتُ أُطَوِّفُ في ركنِ الإعدادِ العلميِّ الثقافيِّ الذي يجبُ أن يكونَ عليه النبيُّ الأكرمُ محمدٌ ﷺ مذ نشأتِه حتى تشرُّفِه بالتكليفِ الإلهيِّ رساليًّا، وأنا لا أُطيقُ أن أقرأَ، أو أسمعَ أنه كان يجهلُ القراءةَ والكتابةَ حتى عندما بلَّغ بهذا التكليفِ السامي، وأقرأَ وأسمعَ أنَّ غيرَه ممن سبقَ عصرَه، أو عاصرَه – ممن لا يصِلُ إلى شيءٍ مما عنده – كان متحليًّا بمعرفتِهما !

وكنتُ لا أُصدِّقُ أَنَّ معجزةً تقومُ على (التلاوةِ، والتوثيقِ النصيِّ، والقراءةِ) يتضمنُ نصُّها – على تعاقبِ نزولِه – ألفاظَ (القراءةِ، والكتابةِ) وما يتصلُ بهما، ويُدرَجُ في ميدانَيهما يكونُ صاحبُ الشأنِ في حملِها، وتبليغِها جاهلًا بـ(القراءةِ، والكتابةِ) أو بأولياتِهما ! ولا أرى وجاهةً في تكليفِه بهذه المعجزةِ التي تضمنت نصًّا يرفضُ القَهْرَ، والإلزامَ بما لا يَلزَمُ في قولِه تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللـه نفسًا إلا وُسعَها﴾ [البقرة/ من الآية٢٨٦]، و﴿لا يُكَلِّفُ اللـه نَفْسًا إلا مَا آتاهَا﴾ [الطلاق/ من الآية٧] ؛ فإذا كان التكليفُ بمعجزةٍ قِوامُها (التلاوةُ، والتوثيقُ النصيُّ، والقراءةُ) كان اللازمُ لها أن يُؤتَى صاحبُها أداتَي القوةِ لتبليغِها (القراءةَ، والكتابةَ). وإذا كان التكليفُ بها يقتضي عدمَ التمكُّنِ منهما ؛ فإنه أدعى للاتهامِ بالابتداعِ على عكسِ ما جرى فَهمُه وإفهامُه، والتقليدُ المتسرِّعُ فيه.

مما مرَّ عقدتُ العزمَ على إثباتِ تمكُّنِ النبيِّ محمدٍ ﷺ من (القراءةِ، والكتابةِ) مذ نشأتِه التي شارك فيها مجتمعَه أعمالَه تمكنًا لم يذعْ صيتُه، ولم يشتهرْ به حتى تكليفِه السامي، وجهادِه أُمتَه والأُممَ التي عاصرته في التبليغِ بالحسنى، وبالقتالِ الواجبِ.

لقد استدعى الاستدلالُ عندي لعرضِ مشكلةِ هذا البحثِ، وحَلِّها أن أُقيمَه على ثلاثةِ أَركانٍ رئيسةٍ هي:

١.أسئلةٌ في إطارِ الموضوعِ تتحققُ الإجاباتُ عنها في كلٍّ من البحثِ، وذهنِ القارئِ الواعي.

٢.عرضٌ لنشأةِ اللغةِ الإنسانيةِ التي كانت بنشأةِ الإنسانِ الأولِ نفسِه. فإنَّ إلهامَ

الإنسانِ الأولِ لُغتَه شيءٌ، وتعلُّمَ ذُريته - على تنوُّعِ أطيافِهم، وترامي أصقاعِهم - لُغاتِهم المختلفةَ بحسبِ متطلباتِ حياتِهم، وتعاقُبِ دهورِهم شيءٌ آخرُ من جهةٍ، وردٌّ لِما قيل فيها من آراءٍ واهنةٍ من جهةٍ أُخرى؛ فوثَّقتُ سفاهةَ الآراءِ التي تذهبُ إلى أَنَّ أصلَ خَلْقِ الإنسانِ هو القِرْدُ، أوِ الطيرُ.

٣.عَرضٌ للنصوصِ القرآنيةِ، والأحداثِ التاريخيةِ التي توثقُ للكتابةِ والقراءةِ، وتُفضي إلى تصحيحِ جملةٍ من الأفهامِ الخاطئةِ لبعضِ النصوصِ والمصطلحاتِ القرآنيةِ.

ومن معطياتِ هذه الأركانِ الرئيسةِ الثلاثةِ - وما يتصلُ بها - يتحصَّلُ الكشفُ المناسبُ لحلِّ مشكلةِ البحثِ بمنهجٍ علميٍّ موضوعيٍّ وسيلتُه البحثُ، والتحقيقُ، والتصحيحُ، وغايتُه الانتصارُ للهِ سبحانه وتعالى، وللرسولِ الأميِّ الأمينِ ﷺ، ونشرُ المعلومةِ الصحيحةِ للعالَمِ كلِّه بعامةٍ، وللباحثين والقرَّاءِ وذوي الشأنِ بخاصةٍ. فإن أَصبتُ فاللهَ أسألُ أن يَفيدَ غيري بما أَنجزتُ. وإن سهوتُ فحسبي أَنني وثَّقتُ ما أَذهبُ إليه وأُؤمنُ به غَيرةً مني على مُشرِّفِ هُويَّتي وانتمائيَ اللغويِّ النبيِّ محمدٍ ﷺ.

التمهيدُ:

ثمة أسئلةٌ يجبُ إلقاؤُها أَساسًا لعرضِ مشكلةِ هذا البحثِ، ووضعِ الحلِّ الأمثلِ لها أُجمِلُها بالآتي:

١.هل تصِحُّ نسبتُنا إلى بعضِ الحيواناتِ كالقِردِ، أوِ الطيرِ في أصلِ الخِلقةِ ونحن (بنو آدم)؟

٢.هل منح اللهُ تعالى أولَ خَلْقِه مقوماتِ اللغةِ للحِوارِ والفَهْمِ، أو تركه أبكمَ لا يفقهُ شيئًا؟

٣.هل يقدرُ اللهُ تعالى على تعليمِ خلْقِه أو أحدِهم عِلْمًا لَدُنيًّا، ومنه القراءةُ والكتابةُ؟

٤.هل عرف العربُ القراءةَ، والكتابةَ قبلَ الإسلامِ؟

٥.أيمكنُ أن يُوَلَّى الحكمَ القائمَ على الفِكْرِ، والحِجاجِ، والتبليغِ شخصٌ يجهَلُ كتابةَ ما يستندُ إليه، وقراءتَه؟

٦.هلِ القراءةُ والكتابةُ من لوازمِ الإنسانِ، ومحاسنِه؟ والجهلُ بهما من عيوبِ الإنسان؟

٧.هل يُمكِنُ مخاطبةُ أُمِّيٍّ في القراءةِ والكتابةِ بكتابٍ يتضمنُ أَلفاظًا للتدوينِ، والكتابةِ، والتوثيقِ، والتلاوةِ والقراءة؛ ليُبلِّغَ بها أُمَّةً تفتقرُ إليها؟

٨.هل توقف نجاحُ معجزةِ القرآنِ على أُمِّيةِ النبيِّ ﷺ بالقراءةِ والكتابةِ؟

٩.هل تمكَّن العارفون بالقراءةِ والكتابةِ وقتَ نزولِ القرآنِ من معارضةِ شيءٍ من القرآنِ الكريم بمحاكاتِه مما قرؤوه قبله؟

١٠.هل آمن الناسُ الذين عاصروا النبيَّ محمدًا ﷺ به جميعًا؟ وهل كانت أُمِّيتُه سببًا لإيمانِهم؟

وهل كفر به مَن كفر ؛ لأَنه كان يقرأُ ويكتبُ ؛ فابتدع القرآنَ من عنده؟

١١.إذا كان القرآنُ محفوظًا بعنايةِ الله تعالى، ومحفوظًا بكيدِ الأعداءِ المُنكرين له ؛ أفيُوكَلُ ضبطُه توثيقًا إلى المؤتَمَنِ على تبليغه وحفظِه وهو النبيُّ ﷺ حصرًا، أم يُترَكُ للأُمة، ولتقريرِ المتصارعين فيه ممن ثبت وصفُهم العدائيُّ في قولِه تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران/ ١٤٤]؟

12.لو قابل أحدُنا اليومَ عالمًا كبيرًا في ميدانِ الدِّين، والتشريع، والمجتمع، والإدارةِ وطلب إليه أن يقرأَ له نصًّا من التشريعِ الذي جاءنا به، وتفاجأ بأنه أُمِّيٌّ لا يعرفُ القراءةَ والكتابةَ ؛ فما ردةُ فعلِه، وماذا يقولُ له، وعنه؟

من هذه الأسئلةِ الاثني عشَرَ – وما يتفرعُ عنها – أَدعو كلَّ متبصِّرٍ إلى أن يُمعِنَ الفكرَ فيها، ويُنعِمَ نظرَه في قراءةِ ما سأعرِضُه فيما يأتي بناءً على معطياتِ هذه الأسئلةِ، وألَّا يبقى أسيرَ التحجيمِ الفكريِّ التقليديِّ القاضي بـ(أُميَّةِ النبيِّ محمدٍ ﷺ بالقراءةِ والكتابة) ؛ فيكونَ من مَعيَّةِ ﴿بل نتَّبِعُ ما وجدنا عليه آباءَنا﴾ [لقمان/ من الآية ٢١].

نشأةُ اللغةِ الإنسانية:

لا يكادُ مطَّلِعٌ يقرأُ في مبحَثٍ عن نشأةِ الإنسانِ ولغتِه إلا ووقف على جملةٍ من الأَساطيرِ، والرواياتِ والقَصصِ التي يأبى العقلُ والذوقُ قبولَها والحوارَ والجدلَ فيها. ومن ذلك فكرةُ (نشأةُ الإنسانِ أبكمَ)، وأنه كان يتعاملُ مع مَن تواجد معه – أولَ وجودِه على الأرضِ من أبناءِ جلدتِه – للتفاهمِ بلغةِ الإشارةِ، أو بإصدارِ أصواتٍ تُحاكي الحيواناتِ، والطبيعةَ

التي يعيشُ فيها، فيُعبِّرُ بها لغيره عن مراده ؛ فيفهَمُ المخاطَبُ هذا المرادَ[٢].

ويتجلَّى هذا الفهمُ السطحيُّ لنشأةِ الإنسانِ ولغتِه في جملةٍ من (الدراساتِ اللغويةِ، والكتبِ) المختصةِ بأصلِ المخلوقات التي أكتفي منها - للتوثيقِ - بما نُسِبَ إلى (داروين) من أنَّ أصلَ الإنسانِ هو القردُ[٣٤] وبما ذهب إليه (مايكل كوربالِيس) في مبحَثٍ له بعنوانِ (ما اللغةُ) من أنَّ (الطيرَ) هو أصلُ الإنسانِ إذ يقولُ: ((تُناوشُني فكرةٌ طائشةٌ بأننا متحدِّرون لا من القِرَدةِ بل من الطيور))[٥]، مُقيِّدًا نفسَه بـ(لُغةِ الإشاراتِ) أساسًا لهذا الفَهْمِ إذ يجعلُ لها ((كلَّ الصفاتِ الجوهريةِ للغةِ المنطوقةِ ... حيثُ إنها تقدِّمُ واحدًا من الأُسسِ للفكرةِ الرئيسةِ لهذا الكتابِ [أي كتاب مايكل كوربالِيس] ألا وهي أنه حتى اللغة المنطوقة يُمكنُ أن تمتدَّ أُصولُها إلى الإشاراتِ الصامتةِ لأجدادِنا البعيدين))[٦].

وعلى الرغمِ من أنَّ هذا الفَهْمَ السطحيَ المختصَّ بـ(نشأةِ اللغةِ) القائمةِ على (نشأةِ الإنسان) مردودٌ بالتحقيقِ والدليلِ من أيسرِ سُبُلِه ؛ إنه صُحِّح من بعضِ اللغويين بما هو مقيَّدٌ بالفَهْمِ الخاطئِ الآخَرِ أيضًا بيَّنه الدكتور (عبدالسلام المسدي) بذهابِه إلى أنَّ العِلْمَ إذا ((لم يُقدِّم لنا فرضيةً راجحةً في أَصلِ نشأةِ الإنسانِ فلن يتسنى بسْطُ احتمالٍ مُرجَّحٍ في أَصلِ نشأةِ اللغة ... فكلُّ نظريةٍ متصلةٍ بأَصلِ نشأةِ اللغاتِ البشريةِ تتضمنُ افتراضَ أَنَّ الإنسانَ وُجِدَ كائنًا حيًّا غيرَ ناطقٍ ثم ألهمته الطبيعةُ، أو الحاجةُ، أو أَيُّ قوةٍ خارجيةٍ أَن يتكلمَ باللغةِ ؛ فتكلم بها ؛ فإنما هي نظريةٌ مدحوضةٌ منتقَضَةٌ ؛ لذلك لم يكن بوُسعِ عالمِ اللسانِ إلا أحدُ أَمرين: إما أَن يُعلِّقَ الموضوعَ

مُرجئًا إياه ريثما يُقدِّمُ له العِلمُ نظريةً جازمةً في أَصلِ نشأَةِ الإنسانِ، وإما أَن يتَّكِلَ على مقولةٍ أُخرى غيرِ مقولةِ العِلمِ ؛ فيتبناها واعيًا أَنه قد تخلَّى عن قميصِ العِلمِ ساعتَها))[٧].

إنَّ الانتهاءَ إلى هذا الفَهْمِ – المتردد في نشأة اللغة الإنسانية تبعًا للسطحية العقيمة لفَهْمِ نشأةِ الإنسانِ أَساسًا – لا يُقبَلُ بحالٍ في ضوءِ الأَدلةِ العقليةِ، والنقليةِ الجليةِ التي سأَذكرُها لاحقًا بمشيئةِ اللهِ تعالى. ومن ذلك ما استنتجه الدكتور (أَسعد محمدعلي النجار) بعد عرضٍ وافٍ منه لموضوعِ (نشأَةِ اللغة) إذ أَكد ((أَنَّ غالبيةَ العلماءِ يرَون استحالةَ الوصولِ إلى نتيجةٍ قطعيةٍ تُبيِّنُ الصورةَ التي بدأَ الإنسانُ يتكلمُ عليها. والوصولُ إلى رأيٍ قاطعٍ في هذه المسألةِ أَمرٌ مستحيلٌ. وما توصَّل إليه العلماءُ هو ضربٌ من الاجتهادِ لا يخرُجُ عن حيِّزِ التخمينِ، أَو الافتراضِ))[٨].

وعندي إنَّ هذا الاستنتاجَ لا يقومُ أَمامَ الأَدلةِ القاطعةِ التي سأَعرضُ لها في متنِ البحثِ بما يستندُ إلى أَنَّ ((اللغةُ [تُعَدُّ] من الخصائصِ التي اختصَّ بها اللهُ بني البشرِ ؛ لينفردوا عن سائرِ مخلوقاتِه. ومن المتفقِ عليه أَنَّ الإنسانَ وحدَه هو القادرُ على استخدامِ اللغةِ منطوقةً ومكتوبةً ؛ لتحقيقِ الاتصالِ والتواصلِ بأَبناءِ جنسِه على اختلافِ بيئاتِهم))[٩].

وتجدُرُ الإشارةُ إلى أَنني أُؤكدُ أَنَّ اللغةَ قد خُلِقَت تزامنًا مع خلْقةِ الإنسانِ الأَولِ نفسِه. وهي خِلْقةٌ تتلو وجودَ لُغةٍ سابقةٍ على (لغةِ الإنسانِ الأَولِ) كانت يومَ كانتِ الملائكةُ ؛ فكانت لُغتُهم إذ هم خَلْقٌ سَبَقوا الإنسانَ إيجادًا بأَمرِ اللهِ

تعالى. وقد نقل لنا القرآنُ الكريمُ حوارَهمُ اللغويَّ قبل خَلْقِ (آدم/ عليه السلام).

وتأكيدي هذا يُسفِّهُ النظرياتِ، والآراءَ، والدراساتِ التي قامت على الجهلِ والتجهيلِ بمعرفةِ أَصلِ الإنسانِ من جهةٍ، وعلى الجهلِ بنشأةِ اللغةِ من جهةٍ أُخرى.

وهو تأكيدٌ يسيرٌ بموجب توثيق (الحوارِ الإلهيِّ-الملائكيِّ) بقولِه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٣٠] ؛ فاللغةُ نشأت مع الملائكةِ لحظةَ خَلَقَهُمُ اللـهُ تعالى، وبموجب توثيق (الحوارِ الإلهيِّ-الآدميِّ) بقولِه تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة/ ٣٥] ؛ فاللغةُ نشأت مع (آدمَ/ عليه السلام) لحظةَ خلقَه اللـهُ تعالى، وبموجب توثيق (الحوارِ الآدميِّ-الملائكيِّ) بقولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة/ ٣٣]، وبموجب توثيق (الحوارِ الإلهيِّ مع إبليس) بقولِه تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف/ ١٢]، و(الحوارِ الآدميِّ مع إبليس) بقولِه تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف/ ٢٠-٢١]، ثم انتقل هذا (الحوارُ) من (جنةِ الاختبارِ هذه) إلى

الأَرضِ التي بدأَ الإنسانُ الأولُ (آدمُ وحوَّاءُ/ عليهما السلامُ) نشأتَه عليها بتوثيقِ قولِه تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ، قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف/ ٢٤-٢٥] ؛ لتكونَ اللغةُ الإنسانيةُ قد نشأت على الأَرضِ بنشأةِ ساكنِها الأَولِ الناطقِ بها ؛ وبهذا أُوجهُ استنكاري لكلِّ ما كنتُ أَقرؤُه في الكتبِ المنهجيةِ للدراسةِ الابتدائيةِ، والمتوسطةِ، والإعداديةِ، وحتى الجامعيةِ وسواها من الكتبِ المصدريةِ، والعامةِ من أَنَّ أصلَ الإنسانِ هو القردُ، أو الطيرُ، أو إنسانُ (النياندرتال)[١٠]، أو إنسانُ (بلتداون)[١١]، ومن أَنَّ اللغةَ المنطوقةَ لم يعرفْها الإنسانُ الأولُ إلا بعد مراحلَ متعاقبةٍ من خلقتِه وتطورِه، وأَنه كان يتعاملُ بالإشارةِ، والصوتِ التقليديِّ غيرِ الحَرفيِّ، وبالرسمِ لمخاطبةِ الآخرِ[١٢]. فهذه هوابطُ من الأفكارِ ما هي إلا هباءٌ منثورٌ تُجاهَ التوثيقِ القرآنيِّ المارِّ ذكرُه.

نشأةُ اللغةِ العربية (ونحوُها):

مرَّتِ اللغةُ العربيةُ ونحوُها - شأنُها شأنُ اللغاتِ الإنسانيةِ الأُخَرِ - بنشأتَين رئيستَين هما:

النشأةُ الأولى/ التطبيقُ الحواريُّ:

وهو الحديثُ اليوميُّ الذي جُبِل عليه أولُ من نطقَ اللغةَ الإنسانيةَ بعامةٍ، أو العربيةَ بخاصةٍ يُحاورُ أَحدَ أقرانِه من أفرادِ عائلتِه، أَو أَبناءِ بيئتِه بإلهامٍ وتوفيقٍ إلهيٍّ مكَّنَ اللهُ به أَنبياءَه ﷺ ؛ فعلَّموه أقوامَهم، ثم بممارسةٍ لفظيةٍ يوميةٍ لازمةٍ تمكَّنت بها تلك الأَقوامُ من التطويرِ، والإبداعِ،

والاكتساب، والمحاكاة، والتلاقح مع أقوام البيئات الإنسانية، أو العربية. إذ ليس من الإنصاف أن يخطُرَ ببالِ عاقلٍ أنَّ اللهَ تعالى يخلُقُ قومًا، أو أُمةً – من أول الخلقة الإنسانية حتى نهاية الحياة الدنيا – ويجعلُهم، أو يجعلُها هملًا بلا هادٍ، ومرشدٍ، ونذيرٍ يُحاورُهم ويُخاطبُهم ويحميهم ؛ فيُنقذُهم، فقد قال عزَّ من قائل: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر/ ٢٤].

من حقيقة أنَّ اللغةَ نشأت نشأةَ الإنسان نفسه فإنَّ التدرجَ الذي قطعته اللغةُ العربيةُ في مسيرة حياتها الضاربة في القدم قبلَ الإسلام يُحتّمُ علينا أن نوثّقَ أنَّ بدايتَها الحواريةَ على الأرض إنما كانت على لسان سيدنا إسماعيلَ بن إبراهيمَ عليهما السلام فقد نُقل عن الإمام محمدٍ الباقر عليه السلام قولُه: ((أولُ من فُتق لسانُه بالعربية المُبينة إسماعيلُ وهو ابنُ عشر سنين))[١٣]. وهو ما أقولُ به. ويُروَى أنَّ (يعربَ بنَ قحطانَ) ((هو أولُ من تكلَّم بالعربية لإعرابه عن المعاني وإبانته عنها))[١٤]. ويرى الدكتور (أحمد سوسة) أنَّ النبيَّ إبراهيمَ الخليلَ عليه السلام هو أولُ من تكلَّمَ بالعربية[١٥]. ومن هذا الكشف القاطع بالحقيقة على لسان الصالحين المكلَّفين إلهيًّا ؛ فإنَّ اللغةَ العربيةَ قد رُعيت بولادةٍ ذاتِ شرفٍ باذخٍ مكَّنها على ألسنة الناطقين بها ؛ فانتشرت طوالَ قرونٍ متعاقبة[١٦] حتى وصل مستوى الحوار بها إلى أبلغ أساليبه، وتراكيبه، وجُمله، وعباراته، وألفاظه؛ فصار العربُ أهلَ لغةٍ ذاتِ انتشارٍ، وبيانٍ راقٍ، صقلها القرآنُ الكريمُ ؛ فأضحت بأمرِ اللهِ تعالى لغتَه التي لا تجوزُ تلاوتُه إلا بها، ولا تَصِحُّ الصلاةُ من أيِّ مسلمٍ على وجهِ الأرض إلا بها. فلقد ((أثَّرتِ العربيةُ – بفضلِ

القرآنِ الكريم – في لُغاتِ أُممٍ أُخَرَ مجاورةٍ، ثم استأثرت بألسنةِ أهلِها، وأقلامِهم ؛ فهجروا لغاتِهمُ الأَصليةَ بعد أَن أَصبحتِ العربيةُ المنهلَ الذي ينهلون منه، والمَعينَ يتزودون [عنه]))[١٧].

وقد تعارف العربُ على هذه اللغةِ بالتطبيقِ الحواريِّ تدريجًا تاركين – بتعاقبِ الدهورِ والحِقبِ – أُصولَها الأُولى التي نشأُوا عليها، أَي أَنَّه حوارٌ لفظيٌّ كان، ثم تراجعت لغتُه، واضمحلَّت شيئًا فشيئًا، حتى بادت وماتت[١٨] ؛ فتجلَّت – بعد العربيةِ البائدةِ – لغةُ العربِ البيانيةِ التي رفع اللهُ شأنَها بالقرآنِ الكريم[١٩] وهو القائلُ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء/ ١٩٢-١٩٥]، وشرَّفها النبيُّ محمدٌ ﷺ بحديثِه، وروعةِ بيانِه وهو القائلُ: ((أَنا أَفصحُ العربِ – أَو أَفصحُ مَنْ نطقَ بالضَّادِ – بَيْدَ أَني من قريشٍ))[٢٠] الذي ما فتِئَ يُحبِّبُ اللغةَ العربيةَ لأَهلِها، ولسواهم بقولِه: ((أَحبُّوا العربيةَ لثلاثٍ: لأَني عربيٌّ، والقرآنُ عربيٌّ، وكلامُ أَهلِ الجنةِ عربيٌّ))[٢١]، وأَتحفها الإِمامُ عليٌّ عليه السلام بالأَفصحِ الأَعذبِ من بلاغتِه وهو القائلُ: ((وإِنَّا لَأُمراءُ الكلامِ، وفينا تنشَّبت عروقُه، وعلينا تهدَّلت غصونُه))[٢٢].

ولا تَغابيَ هنا عن أَنَّ ملكةَ الشعرِ قد بلغت ذروتَها[٢٣] ؛ فجاد الشعراءُ بالمطولاتِ التي سُبقت بأَبياتٍ، ومقطوعاتٍ، ولوحاتٍ شعريةٍ يسيرةٍ أُحاديةِ الموضوعِ، ثم بمرحلةِ تقصيدِ القصيدِ على يدِ (المُهَلهَل)[٢٤]، فأضحت تلك المطوَّلاتُ شاغلةً عربَ الجاهليةِ، والإِسلامِ يتداولونها في مجالسِهم، وأَسواقِهمُ

الأدبيةِ، ومنتدياتهم، ومطارحاتِهمُ الشعريةِ، حتى إنَّ الإمامَ عليًّا عليه السلام لَمَّا أُلِحَّ عليه بالسؤالِ عن أشعرِ العربِ قال: ((فإنْ كانَ ولابُدَّ فالمَلِكُ الضِّلِّيلُ))[٢٥]. يعني امرأَ القَيس الشاعرَ الجاهليَّ.

ومن مصاديقِ العنايةِ بالشعرِ العربيِّ السامي – بعد أَن بلغ العربُ الذروةَ في نظمِه، والقمةَ في عرضِ موضوعاتِه بأَساليبِ البيانِ الرائعِ، وبلاغةِ القولِ اللامعِ – أَنَّ النبيَّ محمدًا صلى الله عليه وآله قال: ((أَشعَرُ كلمةٍ تكلَّمت بها العربُ [أو أصدقُ كلمةٍ قالها شاعرٌ] كلمةُ لَبيد))[٢٦]:

أَلَا كُلُّ شَيءٍ مَا خَلَا اللهَ باطِلُ وكُـلُّ نَعـيم لَا مَحالةَ زائـلُ[٢٧]

وهنا يأتي سطوعُ نورِ النشأةِ الأُخرى للغةِ العربيةِ بأُولى مراحلِها بالاختبارِ الإلهيِّ بعد هذا التمكنِ اللغويِّ الأَعلى لدى العربِ من فنونِ القولِ والشعرِ إذ لا حجةَ عليهم بالقرآنِ الكريم وهم جهلةٌ بمستوى الحديثِ التطبيقيِّ الحواريِّ اليوميِّ، إنما الحُجةُ كلُّ الحُجةِ على العربِ قد تحقَّقت بعد أَن استَوثقوا من مَلَكَةِ القولِ البليغِ، واللسانِ الفصيح. وقد تجلَّى هذا المبلغُ اللغويُّ في تحشيدِ المشركين والكفارِ القُوى كلَّها لمعارضةِ القرآنِ الكريم معرفةً باطنيةً منهم بصدقِ إعجازِه من جهةٍ، ومجاهرةً عنهم بحربِه من جهةٍ أُخرى[٢٨] بآيةِ ما أَنَّ (الطُّفيلَ بنَ عَمْرٍو الدَّوْسي) كان يضعُ (كُرسُفًا)[٢٩] في أُذنيه خشيةَ أَن يتأثرَ إذعانًا للقرآنِ الكريم، والدعوةِ النبويةِ حتى انتبه إلى نفسِه مُراجعًا فقال: ((واثُكْلَ أُمي ؛ واللهِ إني لَرجلٌ لبيبٌ شاعرٌ ما يخفى عليَّ الحسَنُ من القبيحِ ؛ فما يَمنعُني أَن أَسمعَ من هذا الرجُلِ ما يقولُ؟ فإن

كان الذي يأتي به حَسَنًا قبلتُه، وإن كان قبيحًا تركتُه))[٣٠]، وبعد هدايةٍ وإيمانٍ أَسلم طائعًا[٣١].

النشأةُ الأُخرى/ التوثيقُ التقعيديّ:

وهو مجموعةُ الجهودِ النظريةِ التي مرت بمراحلَ خمسٍ يقومُ تاليها على مُعطياتِ سابقِها أَراها على التعاقبِ الآتي:

أولاً/ مرحلةُ التنزيلِ القرآنيِّ:

وهي مختصةٌ بالنبيُّ محمدٍ ﷺ الذي أَمره اللهُ تعالى بجمعِ القرآنِ وتوثيقِ حفظِه؛ فكان هو نفسُه يكتبُ – عن عِلْمٍ لَدُنيٍّ – بما تحصَّل لديَّ من معرفةٍ وإيمانٍ، أَو يأمرُ كاتبَ الوحيِ الأَولَ أَميرَ المؤمنين عليًّا بنَ أَبي طالب عليه السلام[٣٢] بهذا الحفظِ التوثيقيِّ بكتابةِ القرآنِ. ولاشكَّ في أَنَّه ﷺ كان يوجِّهُ الإمامَ عليًّا عليه السلام، أَو أَصحابَه (رضي الله عنهم) من كَتَبَةِ الوحيِ المؤمنين المؤتمَنين على القرآنِ معرفيًّا بالأُصولِ اللغويةِ والنحويةِ وما يتصلُ بها؛ ليكونَ نظمُ القرآنِ معروفًا عندهم يؤدي إلى فَهْمِ باطنِه ودَلالاتِه؛ فكانوا هم يُبصِّرون غيرَهم به. ومصداقُ رأينا هذا أَنَّ القرآنَ الكريمَ إنما نُزِّلَ باللغةِ العربيةِ، وبما انتظمته لغتُه من أَساليبَ وتراكيبَ مُعجزةٍ تستدعي عنِ هؤلاءِ الموثِّقين، وأولئكَ المُبَصَّرين السؤالَ، والنقاشَ، والحِوارَ بعد الانبهارِ وتفاوتِ الجرأةِ بالتحدي له والفشلِ إزاءَه. وهذا السؤالُ لا يخلو من بحثٍ في لغةِ القرآنِ ومستوياتها، وفي نحوِه وأَسرارِ تراكيبِه. وقطعًا فإنَّ المسؤولَ الأولَ هو النبيُّ محمدٌ ﷺ.

واستنادًا إلى العقلِ والاستدلالِ القائمِ على إعمالِ الفِكر فإنني أَسألُ أَنْ كيف يتقبلُ المسلمون

القرآنَ باللغةِ العربيةِ – وهم من وصلوا إلى الذروةِ في نظمِ الشِّعرِ، وأَضحَوا أَهلَ بيانٍ وتبيين – ولا يسألون عن لغتِه، ونحوِه، وأَساليبِه، وتراكيبِه، ونظمِه؟! وهل يكونُ تفسيرٌ للقرآنِ بلا معرفةٍ بلغتِه، ونحوِه، ودلالاتِها؟!

إنَّ العقلَ، والنقلَ ليوثِّقُ أَنَّ أولَ مفسرٍّ هو النبيُّ محمدٌ ﷺ ؛ إذًا يكونُ أَولُ لغويٍّ ونحويٍّ هو النبيَّ أَيضًا، يقولُ عارفًا فيُفهِمُ، وهم يحفظون، أَو يكتبون. وقِوامُ هذه المرحلةُ (المنهجُ الوصفيُّ الدلاليُّ).

ومن البدهيِّ اللازمِ أن نوثِّقَ رأيَنا هذا بالمسانِدِ الآتية:

١. ورد الجذرُ (قَرَأَ) في (١٣٧/ مئةٍ وسبعةٍ وثلاثين)[٣٣] موضعًا في القرآنِ الكريم. فكيف بـ(نبيٍّ لا يعرفُ القراءةَ، وأمةٍ لا تعرفُ القراءةَ) أن يستسيغا قراءةَ تشريعِ دينٍ جديدٍ قِوامُه (القراءةُ، والخطابُ، والحِوارُ ثم التوثيق)؟!

وحقيقٌ على أَلَّا أتجاوزَ معقِدَ القولِ في هذا المورِدِ ؛ فإني أَعرِضُ فيه لأولِ ما نزل من القرآنِ الكريم وهو قولُ تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[العلق/ ١] بصرفِ النظرِ عن الآراءِ الأُخَرِ التي قيلت في تحديدِ أَولِ ما نزل من القرآنِ الكريم[٣٤] ؛ لأَتخذَ منه المنارَ الأولَ لإثباتِ تمكنِ النبيِّ ﷺ من القراءةِ، والكتابة.

إنَّ ما ورد من حديثٍ عن أُمِّ المؤمنين عائشةَ من أَنَّ النبيَّ ﷺ قد ((جاءَه المَلَكُ ؛ فقال: اقرأْ ؛ فقال: ما أنا بقارِئٍ. قال: فأخذني فغطَّني حتى بلَغ مني الجَهدَ، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارِئٍ ؛ فأخذني فغطَّني الثانيةَ حتى

بلَغ مني الجَهدَ، ثم أرسلني ؛ فقال: اقرأْ، قلتُ: ما أنا بقارئٍ ؛ فأخذني فغطَّني الثالثةَ، ثم أرسلني ؛ فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾[العلق/ ١-٣]، فرجع بها رسولُ اللهِ يرجُفُ فؤادُه ؛ فدخلَ على خديجةَ بنتَ خُوَيلِد (رضي الله عنها)، فقال: زمِّلوني. وكرَّرها ثلاثًا حتى ذهب عنه الرَّوعُ، فأخبر زوجتَه (خديجةَ) بالخبر، وقال لها: لقد خشِيتُ على نفسي، فقالت (خديجةُ): (كلَّا واللهِ لا يُخزِيكَ اللهُ أبدًا. إنكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحمِلُ الكَلَّ، وتَكسي المعدومَ، وتَقري الضيفَ، وتُعينُ على نوائبِ الدهر)، ثم انطلقت به إلى عمِّها (ورقةَ بنَ نوفلِ بنِ عبدِ العُزَّى) وكان قد تنصَّرَ، وكَتَّ الإنجيلَ بالعِبرانيةِ، وبلَغَتْ به الشيخوخةُ حدَّها الأقصى. وبعد أنْ قصَّ عليه النبيُّ ﷺ ما أصابه، أجابَه أَنَّ هذا الذي ترى هو الناموسُ الذي أُنزِل على موسى. ليتني فيها جذعٌ. ليتني أكونُ حَيًّا إذ يُخرِجُكَ قومُك. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: أَوَ مُخرِجيَّ هم؟ قال: نعم. لم يأتِ رجلٌ قَطُّ بمثلِ ما جِئتَ به إلا عُودِيَ. وإنْ يُدركني يومُكَ أنصُرْكَ نصرًا مؤزَّرًا))[٣٥] لهو حديثٌ مردودٌ من جهةِ أَنَّ هذه الروايةَ تطرُدُ نفسَها بنفسِها لتسطيحِها الرسالةَ السماويةَ ونبيَّها. وأَنا أعجبُ من جُرأةِ مصطنعيها، وناقليها يؤكدونها على ما فيها من هَناتٍ في المضمونِ، ومن رِكَّةِ معنى من نحوِ (فأَخذني فغطَّني حتى بلَغ مني الجَهدَ، ثم أَرسلني)، ونحوِ (فرجع بها رسولُ اللهِ يرجُفُ فؤادُه)، ونحوِ (وقال لها: لقد خشِيتُ على نفسي، فقالت (خديجةُ): (كلَّا واللهِ لا يُخزِيكَ اللهُ أبدًا))!

وقد ردَّها السيدُ الطباطبائيُّ بقولِه: ((والقصةُ لا تخلُو من شيءٍ. وأهونُ ما فيها من الإشكالِ شَكُّ النبيِّ ﷺ في كَونِ ما شاهدَه وحيًا إلهيًّا مِن ملَكٍ سماويٍّ ألقَى إليه كلامَ اللهِ، وتردُّدُه بل ظنُّه أنه مِن مَسِّ الشياطين بالجنونِ. وأشكَلُ منه سُكونُ نفسِه - في كونِه [ذا] نبوةٍ - إلى قولِ رجلٍ نصرانيٍّ مُترهِّبٍ! وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام/ ٥٧]. وأيُّ حُجةٍ بيِّنةٍ في قولِ (ورَقةَ) وقد قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف/ ١٠٨]؟ فهل بصيرتُه ﷺ هي سُكونُ نفسِه إلى قولِ (ورقةَ)؟ وبصيرةُ مَن اتَّبعه سُكونُ أنفسِهم إلى سُكونِ نفسِه إلى ما لا حجةَ فيه قاطعةً؟ وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء/ ١٦٣]. فهل كان اعتمادُهم في نبوتِهم على مثلِ ما تقصُّه هذه القصةُ؟ والحقُّ أنَّ وحيَ النبوةِ والرسالةِ يُلازمُ اليقينَ من النبيِّ والرسولِ بكونِه من اللهِ تعالى))[٣٦]، علاوةً على أنَّ الذي رُوِيَ عنه هذا الحديثُ هو (يَحيى بنُ بَكير) الذي لا يُعَدُّ من الموثوقِ بهم عند الباحثين المختصين في علمِ الرجال[٣٧].

وحقيقٌ على ألَّا أَترُكَ هذه الفِريةَ الملفَّقة تاريخيًّا على النبيِّ محمدٍ ﷺ من هذه القصةِ الموتورةِ ؛ فإنني أَعرِضُ الآتي:

لماذا يُجيبُ النبيُّ محمدٌ ﷺ بعبارةِ (ما أَنَاْ بقارئٍ) وهو ينفي قدرتَه على القراءةِ – كما يدَّعي من قال: (إنه أُميٌّ لا يقرأُ ولا يكتُبُ) – لو كان قد طُلِب إليه أَن يُردِّدَ (شفهيًّا) الكلامَ المسموعَ (شفهيًّا)؟ فهل قدَّم إليه الوحيُ (ورقةً، أَو لوحًا، أَو صحيفةً) كُتِب عليها النصُّ المذكورُ؛ فتعذَّر عليه الأَمرُ لأُميَّتِه القرائيةِ؟! ((فالكتابةُ التدوينُ، والقراءةُ قراءةُ الشيءِ المدوَّنِ))[٣٨] في كتابٍ. وهذا المعنى للقراءةِ قد ورد بمصداقِ قولِه تعالى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلا بَشَرًا رَسُولا﴾ [الإسراء/ ٩٣]؛ فعبارةُ (كتابًا نقرؤُه) في هذا النصِّ تُفصِحُ بجلاءٍ عن أنَّ ما (يُقرأُ) هو ما يكونُ (مكتوبًا).

لم يرد إلينا في مصدرٍ أَنَّ الأمرَ الإلهيَّ لبدايةِ الوحْيِ والتبليغِ بـ(اقرأْ) قد جاء في (ورقةٍ، أو لوحٍ، أو صحيفةٍ)؛ ليقطعَ الباحثون بأَنَّ الجهلَ بالقراءةِ كان مسوِّغًا لهذه الإجابةِ، فلا يوجدُ نصٌّ مكتوبٌ على ورقةٍ؛ إذًا؛ لا يوجدُ مصداقٌ لعبارةِ (ما أَنَاْ بقارئٍ). ولأَنَّ نُطقَ النبيِّ محمدٍ ﷺ كان سليمًا لم يُشَبْ بشائبةٍ؛ فلا مسوِّغَ لعدمِ إجابتِه الشفهيةِ بترديدِ النصِّ القرآنيِّ الذي أَلقاهُ الوحيُ عليه في لقاءِ التبليغِ الأَولِ هذا. إذًا؛ لا صحةَ لـ(ما أَنَاْ بقارئٍ)، ولا لهذه القصةِ المفتعَلَةِ كلِّها[٣٩].

٢. ورد الجذرُ (كَتَبَ) في (٣٢٠/ ثلاثمئةٍ وعشرين) موضعًا في القرآنِ الكريمِ[٤٠]. ولا يُعقَلُ أَنَّ نبيًّا لم يعرفِ الكتابةَ أَساسًا، وأُمَّةً جاهلةً بالكتابةِ – تمامًا، أو غالبًا – يتقبلان

أَخبارًا وتوجيهاتٍ وتفعيلًا تنفيذيًّا (عقائديًّا، وتشريعيًّا، وتنظيميًّا للحياة) بالكتابةِ. هذه الموارِدُ تُفصِحُ عن تداولٍ واضحٍ لأدواتِ الكتابةِ، ومعرفةٍ بالكتابةِ[٤١]، و((لا خِلافَ في أنَّ التدوينَ كانَ معروفًا عند العربِ قبلَ الإسلام))[٤٢]بآيةِ ما وثقه الباحثون في هذا الميدانِ من انتقالِ ((الكتابةِ من الأنبارِ والحِيرةِ على يدِ بِشرِ بنِ عبدالملك...[الذي] خرج إلى مكةَ وتزوج بنتَ حربِ بنِ أُميَّةَ أختَ أبي سفيان ؛ فعلَّمَ جماعةً من أَهلِ مكةَ الكتابةَ ؛ فكثُر من يكتبُ بها من قريش))[٤٣].

ومن المسلَّم به عندي أَنَّ العربَ كانوا يعرفون فنونَ اللغةِ وقواعدَها، وأَساليبَها، وفنونَ الشعرِ وبحورَه قبل الإسلام ؛ فليس من المعقولِ أَن يتمكَّن العربُ بعد الإسلام - مهما أُوتوا من قدرةٍ فكريةٍ - من هذه الطفرةِ العلميةِ الكبرى في المعرفةِ اللغويةِ، والشعريةِ وقوانينِ كلٍّ منهما كما نجدُه عند الخليلِ من إنجازٍ لكتابِ (العين)، ولـ(بحورِ الشعر)[٤٤].

تتجلَّى حقيقةُ معرفةِ العربِ بالكتابةِ قبلَ الإسلام، وإِبَّانَ البعثةِ المباركةِ بأَنَّ اللهَ تعالى قد ألزم المسلمين بكتابةِ (وثيقةِ الدَّين) بين (الدائنِ والمدين) تنظيمًا للمعاملاتِ التجاريةِ فيما بينهم، وضمانًا لحقوقِهم يومَ لم يكن هذا التنظيمُ، وهذا الضمانُ موجودًا عندهم إذ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ

وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلا تَرْتَابُوا إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٨٢]. وهو أمرٌ يتضمنُ تفاصيلَ تشريعيةً إجرائيةً مهمةً جدًّا تجعلُ من كتابةِ (وثيقةِ الدَّينِ) من مقدماتِ الالتزامِ الأخلاقيِّ الذي يضمنُ سلامةَ المجتمعِ، وحفظَ الحقوقِ، وتيسيرَ قضاءِ حاجةِ المضطر.

فإذا كان موضوعُ (الدَّين) بهذا الحضورِ من التوجيهِ الإلهيِّ، والتبليغِ النبويِّ ؛ فكيف بالقرآنِ الكريم (وثيقةِ الهدايةِ السماويةِ الشاملةِ الناسخةِ الشرائعَ والكتبَ السماويةَ السابقةَ) ألا من إلزامٍ بكتابتِه وتوثيقِ نصِّه على الورق؟! أيُخشَى على المالِ والحقوقِ الشخصيةِ والمجتمعِ من الضياعِ والصراعِ ؛ فيُؤمَرُ بتوثيقِ (الدَّين)، ولا يُخشَى على القرآنِ الكريم - كلامِ اللهِ تعالى - من تحشيدِ الجهودِ والإمكاناتِ لمحاربتِه وتزييفِه من أُمَّةٍ، ومن عالَمٍ إنسانيٍّ لم يُقدِمْ بإيمانٍ، ولا برضا، ولا بأدنى قناعةٍ على تَقبُّلِه والإذعانِ له قدْرَ ما اتهموا من بلَّغ به بأنه (شاعرٌ، وكاهنٌ، ومجنونٌ، وساحرٌ)، وقدْرَ ما حاربوه فعلًا؟!

قال الشيخ (محمد جبار البهادلي) في تأكيدِ أمرِ كتابةِ النبيِّ محمدٍ ﷺ القرآنَ الكريمَ بشهادتِه

شخصيًّا: ((فإن قال قائلٌ: إنها أَموالُ الناسِ واللهُ أَراد الحفاظَ عليها ؛ أَقولُ: الأَمرُ ورد في القرآنِ فلابدَّ من المحافظةِ على الدستورِ بكتابته حتى يستمرَّ الحفاظُ على حقوقِ الآخرين، ويتيقَّنَ الناسُ أَنَّ هذا الأَمرَ مكتوبٌ في الدستور))[٤٥]. أَي أَنَّ لزومَ (كتابةِ الدَّينِ) حكمٌ ورد في آيةٍ قرآنيةٍ ؛ فهل تلزَمُ كتابةُ هذا الحُكم معاملةً، ولا تَلزمُ كتابةُ النصِّ الذي تضمنه؟!

إِنَّ ((في ورودِ هذه الأَلفاظِ [(كَتَبَ) ومشتقاته] في [القرآنِ الكريم] – معبِّرةً عن معانيَ مختلفةٍ لها صلةٌ بالكتابةِ وبالعِلم – دلالةً على أَنَّ الجاهليين كانوا على عِلْمٍ، وأَنهم كانوا يكتبون في أَغراضٍ مختلفةٍ من أَغراضِ الحياةِ، وأَنهم لم يكونوا على نحوِ ما يَقُصُّ أَهلُ الأَخبارِ من الجهلِ والأُمية))[٤٦].

ومن الحقائقِ – ذاتِ الصلةِ – التي أَثبتها الباحثون أَنَّ لفظةَ (الكُتَّاب) قد وردت ((في العربيةِ ... ويُرادُ بها في عُرفِ هذا اليوم المدرسةُ التي يتعلَّمُ فيها الأَطفالُ القراءةَ والكتابةَ ومبادئَ المعرفةِ. وهي من الأَلفاظِ العربيةِ المستعملةِ في العهودِ الأُولى من الإسلام. وعندي أَنها من الأَلفاظِ العربيةِ التي كانت مستعملةً في الجاهليةِ ... وقد ذكر بعضُ أَهلِ الأَخبارِ أَسماءَ جماعةٍ ... أَنهم كانوا من المعلِّمين، وكانوا من أَصحابِ الوجاهةِ والمكانة، منهم على سبيلِ المثالِ (بشرُ بنُ عبدالملكِ السكوني)، و(سفيانُ بنُ أُميةَ بنِ عبدِ شمس)، و(أَبو قيس بنُ عبدِمنافِ بنِ زُهرة)، و(عَمرُو بنُ زُرارةَ بنِ عدَسِ بنِ زيد) وقد كان يُسمَّى (الكاتبَ)، و(غيلانُ بنُ سلمةَ بنِ متعبٍ الثقفي) وهو مخضرَمٌ ؛ مما يدلُّ على وجودِ المدارسِ والتعليمِ عند الجاهلين))[٤٧].

وقد ذكر الجاحظُ أَنَّ النبيَّ محمدًا ﷺ قال: ((إذا كتب أَحدُكم فليُتَرِّبْ كتابَه))[٤٨]، أَي ((إذا انتهى من كتابةِ كتابِه فليَضعِ الترابَ عليه ؛ ليُجفِّفَ حبرَه))[٤٩].

٣.ورودُ أَلفاظِ (الكتابةِ)، و(القراءةِ) وأَدواتِها في القرآنِ الكريمِ لَهو الدليلُ الأَوضحُ على خِطابِ عربِ الجزيرةِ بعامةٍ، وقريشٍ بخاصةٍ بما هو متعارَفٌ عندهم ؛ فإِنَّ اللهَ تعالى قد أَقسم بأَداةِ الكتابةِ، وبما يُكتَبُ معًا في قولِه: ﴿ن~ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم/ ١]. وليس من المقبولِ عقلًا ومعرفةً أَنَّ النبيَّ ﷺ والمجتمعَ الذي بُلِّغ القرآنَ آنذاكَ لا يعرفون أَداةَ الكتابةِ (القلم)، ولا يعرفون ما يُكتَبُ من قراطيسَ (تُسْطَرُ سطورًا منظَّمةً معروفةً على وفقِ فَهمٍ لغويٍّ متكاملٍ) بهذه الأداةِ !

لقد أَكد النصُّ القرآنيُّ ما يوثقُ هذه المعرفةَ الترابطيةَ بين الإنسانِ والقلمِ في الحياةِ المعرفيةِ إِذ قال عزَّ من قائلٍ: ﴿اقْرَأْ وَ رَبُّك الأَكْرَمُ، الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق/ ٣-٤]. قال (الطَّبرْسِيُّ) : ((أَي عَلَّمَ الكاتبَ أَن يكتبَ بالقلمِ، أَو علَّمَ الإنسانَ البيانَ بالقلمِ، أَو علَّم الكِتابةَ بالقلمِ. امتَنَّ سبحانه على خلقِه بما علَّمهم من كيفيةِ الكتابةِ بالقلمِ لما في ذلك من كثرةِ الانتفاعِ فيما يتعلقُ بالدينِ والدنيا. قال (قتادة): القَلَمُ نعمةٌ من اللهِ عظيمةٌ لولاه لم يقُم دِينٌ، ولم يصلُحْ عَيْشٌ))[٥٠].

إِنَّ الذين تجرَّؤُوا فاتهموا النبيَّ محمدًا ﷺ بأَنه (شاعرٌ، وساحرٌ، وكاهنٌ، ومجنون) لَهُم أَكثرُ جُرأةً بالطعنِ الباطلِ عليه ﷺ وهم يسمعون (القلم) – كما مرَّ – ويسمعون

(الصحف) في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى/ ١٨-١٩] لو كانوا يجهلون بهما من جهةٍ، أَو كانوا عارفين بأُميَّةِ القراءةِ والكتابةِ لدى النبيِّ ﷺ، وبجهلِه بماهيةِ (القلم)، و(الصحفِ) من جهةٍ أُخرى! إنهم - لمعرفتِهم بماهيتِهما أَولًا، ولمعرفتِهم بعلمِه ﷺ بـ(القلم، والصُّحُفِ، والقراءةِ، والكتابةِ) ثانيًا - لم يصدر عنهم افتراءٌ يُبيِّنُ سخريتَهم من ورودِ نصوصٍ قرآنيةٍ تقومُ على ذِكْرِ أَدواتِ القراءةِ، والكتابةِ.

((وفي لغةِ الجاهليين مفرداتٌ تُستعملُ في القراءةِ والكتابةِ مثل (قلم، وقرطاس، ودواة، ومِداد، ولَوح، وصُحُف، وكتاب، ومجلَّة وغيرِ ذلك، لا يُشَكُّ في استعمالِ الجاهليين لها؛ لورودها في القرآنِ الكريم - وورودُها فيه دليلٌ على استعمالِهم لها - وورد بعضُها أَيضًا في الحديثِ الشريفِ، وفي الشعرِ الجاهلي. ويُفيدُنا حصرُ هذه الألفاظِ وضبطُها في تكوينِ رأيٍ علميٍّ صحيحٍ سديدٍ في القراءةِ والكتابةِ عند الجاهليين))[٥١].

وإنَّ توظيفَ كلمةِ (قرطاس) - مثلًا - في قولِه تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الأنعام/ ٧] لَهو ((دليلٌ على وقوفِ العربِ عليها. وهي من الألفاظِ التي دخلت إلى العربيةِ من مصرَ أَو من بلادِ الشام، حيثُ استورد أَهلُ مكةَ ... مختلفَ التجارةِ منها، ومنها القراطيسُ))[٥٢].

وقد فسَّر العلماءُ كلمةَ (رِقٍّ) في قولِه تعالى: ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ [الطور/ ٢-٣] ((بأَنه

ما يُكتَبُ فيه، شِبهُ الكاغد، أَو جلدٌ رقيقٌ يُكتَبُ فيه، أَوِ الصحيفةُ البيضاء ... وقد كان الكُتَّابُ يستعملون (الرِّقَّ) في المراسلاتِ، وفي السجلاتِ، وفي الكتبِ الدينية))[٥٣].

نعم لقدِ انتصرَ النبيُّ ﷺ على الكفَّارِ وهم يفترون عليه اختلاقَ القرآنِ الكريم من عنده ؛ إذ لم يَرِد خبرٌ واحدٌ يُثبتُ أَنَّ أَحدَهم علَّمه (القراءةَ، والكتابةَ) ؛ لأَنَّ علْمَه بهما لَدُنِيٌّ بإلهام من اللهِ تعالى. وهذا أَصدقُ دليلٍ على إعجازِ ما بلَّغَ به ؛ فهو لم يشتهِر بأَنه كان كاتبًا، أَو عارفًا بتوثيقِ الكتبِ الرساليةِ السابقةِ بفنونِ الكتابةِ والتأليف، وبفنونِ الخطِّ العربيِّ وامتهانه[٥٤]. فلو كان كذلك (شُهرةً، ومهنةً، وصنعةً) لاتخذَ منه هؤلاءِ المناوئون ذريعةً أُخرى للطعنِ، والإعلامِ المزيَّفِ. وهذا ما كشف عنه اللهُ تعالى بقولِه: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت/ ٤٨].

وهنا أودُّ أَن أُبيِّنَ ما أَقرؤُه قراءةً جديدةً عن هذا النصِّ الكريم من دَلالةٍ باطنيةٍ عميقةٍ لا تقفُ عند حدودِ المعنى السطحيِّ الظاهرِ منه ؛ فبالتدبُّرِ المعرفيِّ الاجتهاديِّ أَجدُ أَنَّ هذا النصَّ يوثقُ (نفيَ اتصافِ النبيِّ ﷺ بتلاوةِ كتابٍ تشريعيٍّ من قبلِ القرآنِ الكريم) ؛ فهو إِذًا يوثقُ أَنه الآنَ (يتلو كتابًا هو الأَولُ الذي يعنيه وهو القرآنُ الكريمُ)، بمعنى أَنَّ الدَّلالةَ العميقةَ لـ(ما كنتَ تتلو من قبلِه من كتابٍ) هي (أَنت تتلو الآنَ كتابًا). أَلم يوثقِ اللهُ تعالى تلاوتَه للقرآنِ بقولِه: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾[البينة/ ٢]؟ فهو لم يَتْلُ (قبلَ القرآنِ) شيئًا، ولا أُثِر عنه ذلك، لكنه

الآن (يتلو) القرآنَ المكتوبَ في هذه الصُّحُفِ المطهَّرةِ. والنصُّ يوثقُ (نفيَ خَطِّه (كتابته) بيدِه كتابًا تشريعيًّا من قبلِ القرآنِ الكريم) ؛ أي أنه الآنَ (يخُطُّ (يكتُبُ) بيدِه كتابًا تشريعيًّا هو القرآنُ الكريمُ). وهذا الفَهْمُ الدَّلاليُّ الجديدُ ينأى بهذا النصِّ الكريم عن أن يكونَ مُجمَّدًا في قالبِ الاستدلالِ به على أُمِّيةِ القراءةِ والكتابةِ كما فُهِم خطأً.

ومن اليسيرِ أن أجدَ في قولِه تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرآنٌ مَجيدٌ، في لَوحٍ مَحفُوظٍ﴾ [البروج/ ٢١-٢٢] ما يؤكدُ أنَّ القرآنَ الكريمَ كان يُكتَبُ بالأمرِ النبويِّ الحريصِ في صُحُفٍ مطهَّرةٍ كما هو قرآنٌ مجيدٌ بالأمرِ الإلهيِّ في اللوحِ المحفوظ.

وقد أتحفنا الدكتور (أحمد صبحي منصور) بيدِ السَّبْقِ إلى الذودِ عن القرآنِ الكريم، وعنِ النبيِّ محمدٍ ﷺ، والانتصارِ والانتصافِ لهما إذ قال في مقدمةٍ لكتابِ (إعادةُ قراءةِ القرآن) للمستشرقِ الفرنسي (جاك بيرك) ما نصُّه: ((المستشرقُ الفرنسيُّ (جاك بيرك) كان مشهورًا بصداقته لشيوخ الأزهر... ترجَمَ القرآنَ للفرنسية، ثم كتب بحثًا بالفرنسية بعنوانِ (إعادةُ قراءةِ القرآن) طالبَ فيه بإعادة كتابةِ المصحفِ وفقَ[٥٥] ترتيبِ النزول، وردَّد نفسَ الهراء[٥٦] القائلِ بأَنَّ القرآنَ كان يكتبُه الصحابةُ على الرقاعِ، والجلودِ وذلك بحضرةِ النبيِّ محمدٍ الذي كان لا يقرأُ ولا يكتبُ. لم يستطع أحدٌ من أصدقاءِ (جاك بيرك) في الأزهرِ أن يفنِّدَ دعواه في إعادة كتابةِ القرآنِ، وتغييرِ مواضيع[٥٧] آياته. قام الدكتور (وائل غالي شكري) بترجمةِ هذا الكتابِ إلى العربية، وطلب مني[٥٨] الناشرُ أن أكتبَ مقدمةً

للكتابِ أَرُدُّ فيها على المؤلفِ المستشرقِ (جاك بيرك) . كتبتُ - متطوعًا - مقدمةَ الكتابِ، محلِّلًا ومنتقدًا منهجَ (جاك بيرك) في دعواه، ورددتُ عليها. وفى أَساسِ الردِّ أَثبَتُّ خطأَ الزعمِ الذى قاله علماءُ التراثِ بأَنَّ النبيَّ محمدًا ﷺ لم يكن يَقرأُ، ولم يكن يكتبُ، وأَنَّ هناك مَنْ كتبَ الوحيَ ؛ لأَنه بناءً على هذا الزعمِ الباطلِ بنى (جاك بيرك) دعواه. بل على أَساسِ هذا الزعمِ الباطلِ يتأَسَّسُ الطعنُ في القرآنِ ... باختصارٍ فإنَّ أُكذوبةَ أَنَّ محمدًا ﷺ لم يكن يقرأُ، ولم يكن يكتبُ، وأَنَّ هناك كتبةً للوحيِ - هذه الأُسطورةُ الكاذبةُ - هي أَساسُ الطعنِ في القرآنِ. ثم جاء (جاك بيرك) وقال: إذا كان القرآنُ مكتوبًا بهذا الترتيبِ غيرِ المنطقي بيدِ كَتَبَةِ الوحيِ فلماذا لا نُعيدُ كتابتَه بترتيبٍ موضوعيٍّ، أَو حَسَبَ السنين. رددتُ عليه، وتم نشرُ الكتابِ عن طريقِ (دارِ النديم) للنشرِ في أَواسطِ التسعينياتِ. في حينِه كتبَ الكاتبُ الصحفيُّ (حسين جبيل) في (الأَهرامِ المسائي) مُشيدًا بالفكرةِ الجديدةِ التي أَتيتُ بها، وقوةِ الاستشهاداتِ التي تؤيدُ أَنَّ النبيَّ محمدًا ﷺ كان يكتبُ ويقرأُ، وأَنه هو الذي كتبَ القرآنَ بنفسِه))[٥٩].

ويرى الدكتور (أَحمد صبحي منصور)[٦٠] أَنَّ كلمةَ (الأُمِّيَّ)، و(الأُمِّيِّين) الواردةَ في القرآنِ الكريمِ إنما تُقابلُ كلمةَ (أَهلِ الكتابِ) دَلاليًّا، ولا تدُلُّ على الجَهلِ بـ(القراءةِ، والكتابةِ) ؛ فـ(أَهلُ الكتابِ) همُ الذين ينتسبون إلى كتابٍ سَماويٍّ، أَما (الأُمِّيُّ) فهو الذي لا ينتسبُ إلى كتابٍ سَماويٍّ، أَو الذي لم يُنزَلْ عليه كتابٌ سَماويٌّ، وكذلك الأُمِّيون، مستدلًّا لرأيه هذا بالقرآنِ الكريمِ رادًّا به على اعتراضِ من يذهبُ إلى أَنَّ

(الأُمِّيَّةَ) تَعني الجهلَ بالقراءةِ والكتابةِ إذ يقولُ: ((ولكنَّ القرآنَ يَصفُه بأَنه (أُمِّيٌّ) أَي لا يعرفُ القراءةَ والكتابةَ. وهذا هو مفهومُ (الأُمِّيِّ) في التراثِ. ولكنَّ مَفهومَ (الأُمِّيِّ)، و(الأُميِّين) في القرآنِ يعني الذين لم يُنزَل عليهم كتابٌ سماويٌّ سابقٌ ؛ فاليهودُ والنصارَى هم أهلُ الكتاب، أَو الذين أُوتوا الكتابَ، وغيرُهم من سُكَّان الجزيرةِ العربيةِ هم (أُمِّيُّون) أَي لم يأتِهم كتابٌ سَماويٌّ قبلَ القرآنِ. وبهذا كان يُميِّزُ القرآنُ بين أَهلِ الكتابِ العربِ وبقيةِ العربِ الذين لم يكونوا يَهودًا، أَو نصارى. واقرأْ في ذلك قولَه تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران/ من الآية ٢٠]، و﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران/ ٧٥] ... فـ(الأُميُّون) ... العربُ الذين لم يأتِهم كتاب سَماويٌّ في مُقابلِ (أَهلِ الكتابِ) العربِ ... والخلاصةُ أَنَّ كلمةَ (أُميٍّ) لا تعني الجهلَ بالقراءةِ والكتابةِ، وإنما تَعني غيرَ اليهودِ والنصارى. المهمُّ أَنْ نفهمَ القرآنَ بمصطلحاته هو، وليس بمصطلحاتِ التراثِ. والمهمُّ أَيضًا أَنَّ وصفَ النبيِّ محمدﷺ بـ(الأُمِّيِّ) يَعني الذي لم يُنزَّلْ عليه كتابٌ من قبلِ القرآنِ مثلَ قومِه الأُمِّيِّين))[٦١].

وأَنا مع ذهابي إلى هذه الحقيقةِ متمسِّكًا بها من أَنَّ النبيَّ محمدًا ﷺ كان يقرأُ ويكتبُ بإعجازٍ إلهيٍّ مختصٍّ، وتعليم لَدُنيٍّ خالصٍ، ولا غروَ من هذا التعليمِ فهو أَعلى شأنًا عند اللهِ تعالى من ذي القرنين عليه السلام الذي حباه اللهُ

تعالى بالعِلْم اللدُنيِّ إذ قال عنه: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف/ ٦٥]، وهو الذي كان يُشرفُ على كتابةِ القرآنِ الكريم بنفسه، أَو يكتبُه، أَو يكتبُ منه بيده الشريفةِ الأَمينة ؛ فإنني لا أُوافقُ الدكتور (أَحمد صبحي منصور) بذهابه إلى ((أَنه ليس هناك كَتَبَةٌ للوحي. بل هناك كاتبٌ وحيدٌ للوحي هو محمدٌ ﷺ نفسُه. وهو وحدَه المؤتمَنُ على كتابةِ القرآنِ ... لأَنَّ للقرآنِ الكريم نوعيةً خاصةً من الكتابةِ. وهذه الكتابةُ القرآنيةُ لا تزالُ حتى الآنَ مختلفةً عن الكتابةِ العربيةِ العاديةِ. وهي ما يُعرف الآنَ بالرسم العثمانيِّ نسبةً إلى الخليفةِ الثالثِ (عثمان بن عفان). والذي حدثَ أَنَّ النبيَّ ﷺ أَتمَّ بنفسه كتابةَ وجمعَ القرآنِ وترتيبَه في نسخةٍ أَصليةٍ، ومات تاركًا هذه النسخةَ لدى أُمِّ المؤمنين (حفصةَ). وكانت تلك النسخةُ الأَصليةُ مرجعًا للتلاوةِ. وفي عهدِ (أَبي بكرٍ) قام بنسخ – أَي كتابةِ – أَولِ مصحَفٍ. فالذي فعله (أَبو بكر) ثم (عثمان) هو نسخُ المصحفِ من النسخةِ القرآنيةِ الأَصليةِ المكتوبةِ بخطِّ النبيِّ ﷺ، وليس كتابةَ أَو جمعَ القرآنِ))[٦٢] ؛ لأَنَّ الحقائقَ النقليةَ والعقليةَ جليةٌ بتوثيقِ جهودِ كُتَّابِ الوحي المخلَصين من جهةٍ، وبذِكْرِ مَن تطفَّل على هذا التشريفِ من جهةٍ أُخرى[٦٣].

إنَّ الفكرةَ القائمةَ زعمًا على أَساسِ أَنَّ النبيَّ ﷺ لم يكتبِ القرآنَ بنفسه، أَو لم يُكتَب بين يدَيه بتوثيقه وموافقته، والراسخةَ على وَهمِ أَنه كُتِبَ وجُمِع بعده إنما هي فكرةٌ تهدفُ إلى الطعنِ في القرآنِ الكريم نفسه، وإلى جعْلِه نصًّا بشريًّا بنظمِه وترتيبه كالرأيِ المعادي الذي انتهجه الكفارُ المعارضون للقرآنِ. ومن

مصاديقِ استنتاجي هذا ما قرَّره (سعيد ناشيد) من أَنَّ القرآنَ قد تحصَّل من ((ثلاثِ ظواهرَ متباينةٍ لا يجوزُ الخلطُ بينها:

١- الوحي الربانيِّ (وهو يُحيلُ إلى الصورِ الوَحْيَانِيَّةِ التي استشعرَها الرسولُ وتمثَّلها ... وفي الأخيرِ فإنَّ كلامَ القرآنِ هو كلامُ النبيِّ المؤيَّدِ بالإرادةِ الإلهية) ...

٢- القرآنِ المحمديِّ (وهو ثمرةُ جُهْدِ الرسولِ في تأويلِ الوحي، وترجمةِ الإشاراتِ الإلهيةِ إلى عباراتٍ بشرية انطلاقًا من وَعْيِه، وثقافتِه، ومزاجِه، وشخصيتِه، وقدراتِه التأويلية) ...

٣- المصحفِ العثمانيِّ (وهو ثمرةُ جهدِ المسلمين في تحويلِ القرآنِ المحمديِّ – خلالَ مرحلةٍ أُولى – من آياتٍ شفهيةٍ متناثرةٍ إلى مصاحفَ متعددةٍ، ثم – خلالَ مرحلةٍ ثانيةٍ من مصاحفَ متعددةٍ إلى مصحَفٍ واحدٍ وجامعٍ وفق[٦٤] نمطٍ معينٍ من التأليفِ، والتبويبِ، والترتيب، وبحسبِ قواعدَ محددةٍ في اللغةِ والكتابةِ والخط))[٦٥].

مما مرَّ نؤكدُ الحقيقةَ الناصعةَ من أنَّ القرآنَ الكريمَ قد جُمِع زمنَ النبيِّ ﷺ بتوثيقِه بأمرِ اللهِ تعالى[٦٦] بآيةِ ما أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((إِنِّي مُخَلِّفٌ فيكُم الثَّقْلَين مَا إِنْ تَمَسَّكْتُم بهما لن تَضِلُّوا: كِتَابَ اللهِ، وعِتْرتي أَهْلَ بَيتي [أو سنَّتي في روايةٍ]. وإِنَّهما لن يَّفترقا حتَّى يَردا عَلَيَّ الحَوْضَ))[٦٧].

٤. أثبتتِ الحقائقُ التاريخيةُ الموثَّقةُ تمكنَ النبيِّ محمدٍ ﷺ من التراسلِ مع حُكَّامِ الدولِ المتاخمةِ للجزيرةِ العربية[٦٨] من جهةٍ، وتمكنَ الجاهليين أنفسِهم من التراسلِ فيما بينهم من جهةٍ أُخرى[٦٩]. ((وقد ورد في كُتبِ السِّيَرِ

أنَّ الرسولَ ﷺ حين همَّ بتوجيهِ الكتبِ إلى (قيصر) و(كسرى) وغيرِهما قيل له: إنَّ الرومَ لا يقرؤون كتابًا غيرَ مختوم بختم صاحبِ الرسالةِ ؛ فأمر بصنعِ خاتَم له ختَم به كتبَه))[٧٠] ؛ وبهذا أستنتِجُ أَنَّ مَن يأمرُ بصناعةِ خاتَم بتوقيعٍ مختَصٍّ له فيه لَحَرِيٌّ به أَن يكونَ متوافرًا على موادِّ صناعةِ هذا الخاتَم من جهةٍ، وعارفًا بفنِّ الكتابةِ والقراءةِ من جهةٍ أُخرى.

٥.توجيهُ النبي ﷺ بإطلاقِ سراحِ كلِّ جنديٍّ من المشركين الذين أُسروا في معركةِ (بدر الكبرى) مقابلَ تعليمِه مجموعةً من المسلمين (القراءةَ والكتابةَ)[٧١].

وهذا حدثٌ يدلُّ على العملِ الدؤوبِ من النبيِّ ﷺ على نشرِ المعرفةِ بالقراءةِ والكتابةِ في أوساطِ المسلمين ترصينًا لصلتِهم بالقرآنِ الكريمِ عن أَقرانِهم الذين عاشوا معهم في أَمصارِهم بثقافةِ (القراءة والكتابة) ممن لم يهتدوا بعد.

وقد كان لهذا التوجيهِ الأثرُ النفسيُّ البالغُ في هؤلاءِ الأَسرى المشركين (المتعلمين) القائمِ على أَنَّ هذا النبيَّ ليس بجاهلٍ، ولا طالبَ سلطةِ سَوطٍ، وجبروتٍ، وغنائمَ، وتقتيلٍ، وتشريدٍ كما غُرِّروا بهم بذلك، إنما هو نبيُّ رحمةٍ، وعِلْمٍ، ومعرفةٍ، وبناءٍ للإنسانِ، وإنقاذٍ له من الجهلِ والجهالةِ ؛ فكان لهذه المساومةِ العلميةِ – الأَخلاقيةِ الرائعةِ معهم أَثرُها في توجه جمعٍ منهم لاعتناقِ الإسلامِ والإيمانِ برسولِه ورسالتِه[٧٢].

٦.إنَّ التجارةَ التي عمِل بها النبيُّ محمدٌ ﷺ تتطلبُ حتمًا معرفتَه بالتوثيقِ والحساباتِ التجاريةِ من رأسِ مالٍ، وأَرباحٍ اقتضتها رحلتُه الأُولى إلى الشامِ مع عمِّه أَبي طالبٍ

ﷺ في قافلةٍ تجاريةٍ لقريشٍ وهو ابنُ اثنتي عشرةَ سنةً، واقتضتها رحلتُه الأُخرى إلى الشامِ أيضًا شريكًا لأُمِّ المؤمنين خديجةَ (عليها السلامُ) قبلَ زواجِه بها بقليلٍ وهو ابنُ (خمسةٍ وعشرين) عامًا[٧٣]. فهي تجارةٌ تتطلبُ معاهداتٍ، ووثائقَ بيعٍ وشراءٍ تُكتَبُ، وتُقرَأُ، وتُدقَّقُ فتُوقَّعُ ؛ فكيف به في هذا المجالِ الحسَّاسِ اقتصاديًّا ألا يكونَ عارفًا بالقراءةِ والكتابة[٧٤]؟!

7- إنَّ اللهَ تعالى وصف رسولَه الأكرمَ ﷺ بما لم يصِفْ به رسولًا أو نبيًّا قبلَه إذ قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم/ ٤]. وهذا الخُلُقُ العظيمُ يستدعي تكاملَ صفاتِه الروحيةِ، والبدنيةِ، والشَّكليةِ، والفنيةِ، والمعرفيةِ، والعلمية. ومنها تمكنُه من أفضلِ نعمةٍ انماز بها الإنسانُ وهي نعمةُ القراءةِ والكتابة. أَمِنَ المعقولِ أن يُحبَى بهذه النعمةِ الساميةِ أجلافُ العربِ وجهلتُهم بالأخلاقِ، ويُحرَمَ منها خيرُ خلقِ اللهِ تعالى النبيُّ الأكرمُ محمدٌ ﷺ؟!

ثانيًا/ مرحلةُ التصدِّي للَّحنِ[٧٥]:

أكد الدكتور (تمام حسان) بما ((لا جدالَ فيه أنَّ اللحنَ كان معروفًا قبل الإسلامِ وفي وقتِ ظهورِه، وأنه كان جائزًا حتى من سادةِ العربِ وأشرافِهم. ففي الجزءِ الأولِ من الجامعِ الصحيحِ للسيوطي أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((أنا أعربُ العربِ ولدتني قُريشٌ، ونشأتُ في سعدِ بنِ بَكْرٍ ؛ فأنَّى يأتيني اللحنُ؟!)). وإنَّ نفيَ اللحنِ عنه ﷺ ليتضمنُ أنَّ اللحنَ كان ظاهرةً معروفةً حينئذٍ، وأنَّ بعضَ سادةِ العربِ كانوا يلحنون ؛ ولذلك رأى ﷺ أنْ ينصَّ على أنه غيرُ

هؤلاءِ الذين يصدرُ اللحنُ منهم))[٧٦].

وهذه المرحلةُ هي التي أَمر فيها الإمامُ عليٌّ عليه السلام بكتابةِ أُصولِ النحوِ في رقعةٍ أَملاها على الصحابيِّ الجليل أَبي الأسودِ الدؤليِّ[٧٧] (رضي الله عنه) يُوجِّه في ضوئِها بالتصدي للَّحنِ الذي أَخذ يتفشَّى على ألسنةِ العربِ، أو الداخلين في الإسلامِ من غيرِ العربِ وهم يُخطِئون في قراءَةِ القرآنِ. وقِوامُ هذه المرحلةِ (المنهجُ الوصفيُّ الدلاليُّ). والإمامُ عليٌّ عليه السلام لم تُخلَق عنده معرفةٌ بأُصولِ النحوِ من عدمٍ فجأةً، وإنما أخذ هذه المعرفةَ عنِ النبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وآله إذ قال: ((لقد علَّمني رسولُ الله صلى الله عليه وآله ألفَ بابٍ، كلُّ بابٍ يَفتَحُ ألفَ بابٍ))[٧٨].

ثالثًا/ مرحلةُ تأليفِ المتونِ اللغوية (النحوية):

وهي المرحلةُ المتطورةُ بتطورِ الحياةِ المعرفيةِ، وتوافرِ وسائلِ الكتابةِ، وانتشارِ الموارِدِ البشريةِ العارفةِ باللغةِ، والنحوِ، المخلصةِ في تأليفِ الكتبِ التي توثقُ علومَ اللغةِ العربيةِ، وتأخذُ بلغاتِ القبائلِ العربيةِ الخالصةِ تُنظِّرُ عنها، وتحتفي بالشعرِ العربيِّ، والنثرِ الفصيحِ المعتدِّ به تستشهدُ به، ويُبدِعُ مؤلفوها وأَصحابُ الآراءِ فيها الأَمثلةَ اللازمةَ للمعرفةِ اللغويةِ والنحويةِ. ومثالُ هذه المرحلةِ كتابُ (العينِ) للخليلِ الفراهيديِّ، و(الكتابُ) لسيبويهِ، و(المقتضَبُ) للمبرّدِ، وكتبُ (معاني القرآنِ)، وكتبُ (التفسيرِ اللغوي). ويمكنُنا أَن نوصلَها إلى أَواخرِ القرنِ الخامسِ الهجري. وقِوامُ هذه المرحلةِ (المنهجُ الوصفيُّ الدلاليُّ)، و(المنهجُ التعليميُّ الرياضيُّ).

رابعًا/ مرحلةُ التفريعِ وكتابةِ الشروحِ

والحواشي عليها:

وهي المرحلةُ التي أُخِذت فيها كتبُ المتونِ اللغويةِ والنحويةِ وفُرِّع عنها وعليها من الشروحِ والحواشي ما صعَّب في النحوِ أكثرَ مما سهَّل فيه. ويمكنُنا قراءةُ هذا النشاطِ التأليفيِّ منذ نهايةِ القرنِ الخامسِ الهجري إلى يومِنا هذا بنسبٍ متفاوتةٍ من التأييدِ والالتزامِ به. وقِوامُ هذه المرحلةِ (المنهجُ التعليميُّ الرياضيُّ الابتداعيُّ) مع شيءٍ من (المنهجِ الوصفيِّ الدلاليِّ).

خامسًا/ مرحلةُ التجديدِ، والتيسيرِ، والاجتهاد:

وهي مرحلةٌ شهِدها العصرُ الحديثُ، والحالي وقد سُبِقت بمحاولةٍ شهِدتها مرحلةُ (التفريعِ وكتابةِ الشروحِ والحواشي) هي محاولةُ (ابن مضاء القرطبي) في كتابِه (الرد على النحاة)، ولكنها نشطت في العصرِ الحديثِ بدراساتٍ كثيرةٍ كمحاولاتِ (إحياء النحو) في العام ١٩٣٧م للأُستاذ (إبراهيم مصطفى)، و(النحو الجديد) في العام ١٩٤٧م للأُستاذ (عبدالمتعالي الصعيدي)، و(نحو التيسير) في العام ١٩٦٢م للدكتور (أَحمد عبدالستار الجواري)، و(في نحو اللغةِ وتراكيبها) للدكتور (خليل أَحمد عمايرة)، و(في حركةِ تجديدِ النحوِ وتيسيرِه) لأُستاذِنا الدكتور (نعمة رحيم العزاوي)، وكتابُ (دلالةُ الاكتفاءِ في الجملةِ القرآنية: دراسةً نقديةً للقولِ بالحذفِ والتقدير) وأبحاثُ (جمعُ المؤنثِ، أو المجموعُ بالألفِ والتاء)، و(واوُ السبقِ في القرآنِ الكريم: دراسةً دلاليةً)، و(التركيبُ الشرطيُّ بـ(النفي وحتى)، وبـ(الطلبِ وحتى) : دراسةً دلاليةً في القرآنِ الكريم) للدكتور (علي عبدالفتاح الحاج فرهود). وقِوامُ هذه

المرحلةِ (المنهجِ الوصفيِّ الدلاليِّ)، و(معطياتُ النظرياتِ اللسانيةِ الحديثةِ) مع اعتمادٍ - عند طائفةٍ من النحويين - على (المنهجِ التعليميِّ الرياضيِّ). وهي محاولاتٌ ونظرياتٌ تأتي في ثلاثِ دوائرَ رئيسةٍ هي:

١. التيسيرِ المقبولِ لانتهاجه حِفْظَ هُويَّةِ النحوِ العربي.

٢. التيسيرِ المرفوضِ لانتهاجه طَمْسَ هُويَّةِ النحوِ العربي.

٣. الاجتهادِ البِكْرِ القائمِ على المعرفةِ اللغويةِ والنحويةِ.

إنَّ ميدانَ البحثِ ليس معنيًّا بتبيينِ هذه الدوائرِ بالتفصيلِ اللازمِ لها. وقد اقتضت خطةُ البحثِ الإشارةَ إليها استكمالًا للنفعِ المعرفيِّ لها عمَّا فصَّلتِ القولَ له فيها المؤلفاتُ، والدراساتُ الكثيرةُ الوافية[٧٩].

مما مرَّ نستنتجُ أنَّ الإنسانَ الأولَ خُلِق متكلِّمًا بإلهامِ اللهِ تعالى لَدُنيًّا، ثم تعاقبتِ الأُممُ الإنسانيةُ، وتعارفت بعد الإلهامِ على لغاتها التي (مات متروكُها)، و(تطوَّر جديدُها) بالتحديثِ اللازمِ لها. ومنها ما كان بهذا المنهجِ التاريخيِّ للغةِ العربيةِ، ونحوِها التي إنما وُثِّقت عن حكمةٍ، وفَهمٍ، ومعرفةٍ، وتنظيرٍ رصينٍ لضبطِ النطقِ بها، والفَهمِ لها ولمضامينِها بناءً على مراحلِ نشأتِها بنشأةِ الإنسانِ الأولِ الناطقِ بها، حتى تحديثِها بنزولِ القرآنِ الكريمِ وإلى يومِنا هذا. والمنكرُ لهذا التوثيقِ التنظيريِّ مع بزوغِ الرسالةِ السماويةِ بـ(اقرأ) رسالةِ الثقافةِ، والخِطابِ المعرفيِّ إنما هو منكرٌ لحقيقةٍ لا يَعمَى عن رؤيتِها إلا من عَميت بصيرتُه.

وبهذه الحقيقةِ، وما مرَّ العرضُ له ؛ فإنَّ النبيَّ محمدًا ﷺ قد تمكَّن منها إلهامًا، وصار بها عارفًا إفهامًا ؛ فوثَّق التبليغَ الإلهيَّ الهاديَ بها.

قائمة الهوامش

١) البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي١١٥.

٢) ينظر: العين، الخليل (صرصر)، والخصائص، ابن جني ١:٦، ومباحث في فقه اللغة العربية، د. أسعد محمدعلي النجار ١١-١٦.

٣) ينظر: أصل الأنواع، ترجمة: مجدي محمود المليجي (أكد المترجمُ براءةَ داروين من هذا القول، وأنه نُسِبَ إليه خطأً من المترجمين) ٢٥.

٤)

٥) في نشأةِ اللغة من إشارةِ اليدِ إلى نطقِ الفم، مايكل كوربالِيس، ترجمة: محمود ماجد عمر٤.

٦) في نشأة اللغة من إشارة اليد إلى نطق الفم ٢١.

٧) محاولةَ في أصلِ اللغاتَ، جان جاكَ روسو، تعريب: محمد محجوب، تقديم عبدالسلام المسدي (مقدمة د. عبدالسلام المسدي) ١٠- ١١.

٨) مباحث في فقه اللغة العربية ١٦.

٩) سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، د. جمعة سيد يوسف ٩.

١٠) ينظر: ألغاز تاريخية مُحيِّرة، بول أرون، ترجمة: شيماء طه الريدي١١. والنياندرتال وادٍ في شمالِ غربِ ألمانيا يُعزى إليه اكتشافٌ في العام ١٨٥٦م لأقدمِ عظامٍ لإنسان على الأرض.

١١) ينظر: ألغاز تاريخية محيرة ١٢.

١٢) ينظر: كتاب (الاجتماعيات) للصف الأول المتوسط، د. نجدت عبدالرؤوف عبدالرضا وآخرون، الفصل الأول تاريخ نشوء الحضارات (النقطة ٣) ١١.

١٣) البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبدالسلام محمّد هارون٦:٢٩٠. وينظر: بحار الأنوار، المجلسي ٧٨:٦٧٨، وصراع اللغة العربية من أجل البقاء، كاظم محمد النقيب ٦٦.

١٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبوالحسن علي بن الحسين المسعودي١:٤٣.

١٥) العرب واليهود في التاريخ٢٤١.

١٦) ينظر: صراع اللغة العربية من أجل البقاء

٩٦-١٠٥.

١٧) العربية والتحديث: اتجاهات التأليف اللغوي في العراق، د. محمد عبدالمطَّلب البكّاء ١٣-١٤.

١٨) ينظر في اللغاتِ العربية البائدة: دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح ٥٥-٥٩، وفصول في فقه العربية، د. رمضان عبدالتواب٢٦-٦٤.

١٩) ينظر: العرب واليهود في التاريخ ١٢٨.

٢٠) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي ٢:٣٤٠. وينظر: الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، تح: محمدعلي البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم ١:٤٥، سر الفصاحة، ابن سنان٦٠.

٢١) المعجم الكبير، الطبراني، تح: حمدي السلفي١١:١٨٥. وينظر: المهاراتُ اللغويةُ وعروبةُ اللسان، د. فخرالدين قباوة١٠.

٢٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تح: محمد أبوالفضل إبراهيم ١:٢٤٤.

٢٣) ينظر: دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية، ت.م. جُونستون، ترجمة: د. أحمد محمد الضُّبَيْب ٥.

٢٤) ينظر: المزهر، السيوطي، تح: محمد أحمد جاد المولى وزميليه ٢:٤٧٤، وتاريخ العرب قبل الإسلام ٩:٤٣٩.

٢٥) نفسُه ١:٤٦٤.

٢٦) صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبدالباقي٧:٤٩. وينظر: إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد٤:٢٥٨، وميزان الحكمة، الريشهري٥:٦٠.

٢٧) الكامل في اللغة والادب، المبرد ٢:١٩. وينظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني٤:٢٤٦، والعقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، تح: مفيد محمد قميحة ٢:٣٠٧.

٢٨) ينظر: المرسِل – الرسول – الرسالة، السيد محمد باقر الصدر، ودلالة الاكتفاء في الجملة القرآنية، د. علي عبدالفتاح الحاج فرهود (التوطئة).

٢٩) قطنًا.

٣٠) السيرة النبوية، ابن هشام، تح: عمر عبدالسلام تدمري ٢:٢٢٦. وينظر: البداية والنهاية، ابن كثير٣:٩٩،

والحفاظ على سلامة اللغة العربية، د. أحمد مطلوب ٩-١٠.

٣١) ينظر: السيرة النبوية ٢:٢٢٧.

٣٢) يُنظر: تاريخ الطبري، محمد بن جرير، تح: محمد أبوالفضل إبراهيم ٥:٢٤، ومناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، تح: يوسف البقاعي ١:١٤٠، وبصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار ٢١٨، ومكاتيب الرسول، الأحمدي الميانجي ١:١٢٥، وجذور تدوين القرآن الكريم ٨٦ – ٨٩.

٣٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظِ القرآنِ الكريم بحاشية المصحف الشريف، محمد فؤاد عبدالباقي٦٦٣ – ٦٦٤.

٣٤) ينظر: معاني القرآن، الفراء، تح: محمد علي النجار ورفيقُه٣:٢٧٨، وتاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تقديم: السيد محمد صادق بحرالعلوم ٢:٢٢، وتفسير القرآنِ العظيم، ابن كثير ١:٤١٩، والبرهان، الزركشي ١:١٤٧، وإشكالية البعد التاريخي للقرآن، د. عادل عباس النصراوي ٦٣.

٣٥) دراسات في الكافي للكليني، والصحيح للبخاري، هاشم معروف الحسني ١٠.

٣٦) الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي. وينظر: تاريخ القرآن، تيودور نولدكه، ترجمة: د. جورج تامر، تعديل: فريديريش شفالي ١:١٤.

٣٧) يُنظر: دراسات في الكافي للكليني، والصحيح للبخاري١٠.

٣٨) المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي ٢٧٣.

٣٩) ينظر: النص القرآني وسلطة التراث، د. عادل عباس النصراوي ١٤-١٨. وقد أسعدني كثيرًا ما قرأته من توارد أفكارٍ متطابقةٍ بيني وبين الدكتور (عادل النصراوي) يطمئنُّ إليها القلبُ في الانتصارِ لنبيِّنا الأكرمِ ﷺ في فهمِنا لهذا الموضوعِ المُضَلَّلِ فيه.

٤٠) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٧١١ – ٧١٥.

٤١) يُنظَرُ: نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، د. حسين نصار ٢٣، والمصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، د. عزالدين إسماعيل ١٣ وما بعدها، ودراسات في الكافي للكليني، والصحيح للبخاري، الفصل الأول (لمحات عن

الكتابة والحديث ومراحل تدوينه) ١٢ وما بعدها.
٤٢) المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام٢٤٨.
٤٣) الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، د. محمد عبدالمنعم خفاجي ١٥٢. وينظر ما بعدها.
٤٤) ينظر: المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام٢٨٩.
٤٥) جذور تدوين القرآن الكريم ٨٤.
٤٦) المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣١٤.
٤٧) المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام٢٩١ – ٢٩٢. وينظر: المحبَّر، محمد بن حبيب البغدادي، تح: د. إيلزة ليختن شتيتر ٤٧٥.
٤٨) البيان والتبيين٣:٢٠٤.
٤٩) المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٨٩.
٥٠) مجمع البيان١٠:٣٥٦.
٥١) ينظر: المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٥٢.
٥٢) المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٦٢.
٥٣) المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٦٢ – ٢٦٣.
٥٤) ينظر في اختلافِ الآراءِ في تمكنِ النبيِّ (صلى اللهُ عليه وآله) من القراءةِ والكتابةِ من عدمها: تاريخ القرآن، نولدكة ١١-١٩.
٥٥) الصَوابُ (عَلى وفْق).
٥٦) الصوابُ (الهراءَ نفسَه).
٥٧) الصوابُ (مواضع).
٥٨) الصوابُ (طلب إلـيَّ).
٥٩) إعادة قراءة القرآن، جاك بيرك، ترجمة: د. وائل غالي شكري، تقديم د. أحمد صبحي منصور (نص التقديم).
٦٠) ينظر: النبي محمد عليه السلام كان يقرأ ويكتب، وهو الذي كتب القرآن بنفسه، د. أحمد صبحي منصور (بحث منشور على موقع أهل القرآن الإلكتروني بتاريخ ٦/ ٨/ ٢٠٠٦).
٦١) النبي محمد عليه السلام كان يقرأ ويكتب، وهو

الذي كتب القرآن بنفسه. وينظر: النص القرآني وسلطة التراث ١٨-٢١.

٦٢) النبي محمد عليه السلام كان يقرأ ويكتب، وهو الذي كتب القرآن بنفسه.

٦٣) ينظر: تفسير الميزان، الطباطبائي ١٢:٦٣، والأمثل في تفسير كتاب الله المُنزَل، مكارم الشيرازي ٤:٣٨٣، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الراوندي، تح: السيد عبداللطيف الكوهكمري١:٢٠٧، وتاريخ اليعقوبي ٢:٨٠، والتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٢:٣٢٤، وجمع القرآن الكريم حفظا وكتابةً، د. علي بن سليمان العبيد ٣١، والبداية والنهاية، ابن كثير ٥:٣٣٩، والعقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي ٢:٧١. ومن هم كتاب الوحي وكم عددهم ؟، هديل البكري (بحثٌ منشورٌ إلكترونيًّا على موقع موضوع).

٦٤) الصوابُ (على وفق).

٦٥) الحداثة والقرآن ١٨-١٩. وهو تقريرُه الذي أقامه على آراءِ الكاتبين الإيرانيين عبدالكريم شروس في كتابه (بسط التجربة النبوية)، والشيخ محمد مجتهد الشبستري في كتابه (قراءة بشرية للدين)، والمفكر جورج طرابيشي في كتابه (إشكاليات العقل العربي).

٦٦) ينظر: المدرسة القرآنية، السيد محمد باقر الصدر ٢٧٥-٢٧٦، والنص القرآني وسلطة التراث ٢١-٢٦.

٦٧) التبيان، الطوسي، تح: أحمد شوقي الأمين وزميله ١:٢. وينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، تح: إحسان عباس ٣:١٩٤، وصحيح مسلم برقم (٢٤٠٨)، والصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي، تح: عبدالرحمن بن عبدالله وزميله ٢:٤٢٨، والبحر المحيط، ابن حيان١٠:١٩٤، وتفسير ابن كثير٧:٢٠١، وكنز العمال، المتقي الهندي ١:٤٤، وروح المعاني، الآلوسي، تصحيح : محمّد حسين العربيّ ٢٠:١٤٦، والتحرير والتنوير١٤:٤٠٣.

٦٨) ينظر: المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣٠٥.

٦٩) ينظر: المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام٣٠٣.

٧٠) ينظر: المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣٠٥.

٧١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، ضبط: شعيب الأرنؤوط وزميلِه ٥:٦٥.

٧٢) ينظر: عيون الأثر، ابن سيد الناس١: ٣٧٤، والشمائل المحمدية في التعامل مع الأسرى (أسرى بدر نموذجًا)، د. إبراهيم بن محمد الحقيل (بحث قيِّمٌ منشورٌ في مجلة البيان إلكترونيًّا ٢٠١٦)

٧٣) ينظر: السيرة والتاريخ: عرض تحليلي لحياة وسيرة النبي الأعظم ﷺ، مؤسسة المعارف الإسلامية الثقافية ٢٤-٢٥.

٧٤) ينظر في شؤون هذه التجارة: السيرة لابن هشام ١: ١٨٧.

٧٥) أجد أنه من المَناسبِ ذِكرُ هَذه المرحلةِ، وما يليها إتمامًا للفائدةِ وإن لم يكن موضوعُ هذه المراحلِ من صُلبِ مشكلةِ هذا البحثِ وحلِّه.

٧٦) اللغة بين المعيارية والوصفية٨١.

٧٧) ينظر: تاريخ العرب قبل الإسلام ٥: ٩و١٠.

٧٨) بحار الأنوار، المجلسي ٧: ٢٨١.

٧٩) ينظر: المشكلة اللغوية العربية، سمر رُوحي الفيصل ٥٣-٧٠، وصراع اللغة العربية من أجل البقاء ٢٣٥-٢٣٨.

مصادرُ البحثِ ومراجعُه

القرآن الكريم

*الاجتماعيات للصف الأول المتوسط، د. نجدت عبدالرؤوف عبدالرضا وآخرون، ط١، المديرية العامة للمناهج/ وزارة التربية العراقية/ ٢٠١٧م.

*إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد (ت ٥٠٥هـ)، ط١، دار ابن حزم – بيروت/ ١٤٣٦هـ -٢٠٠٥م.

*إشكالية البعد التاريخي للقرآن: دراسة تأسيسية لتاريخ بعض السور القرآنية، د. عادل عباس النصراوي، ط١، دار تموز، دمشق/ ٢٠١٥م.

*أصل الأنواع، تشارلس دارون، ترجمة: مجدي محمود المليجي، تقديم: سمير حنا صادق، ط١، المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة/ ٢٠٠٤م.

*إعادة قراءة القرآن، جاك بيرك، ترجمة: د. وائل غالي شكري، تقديم د. أحمد صبحي منصور، ط١، دار النديم للصحافة والنشر، مصر/ ١٩٩٦م.

*ألغاز تاريخية مُحَيِّرة، بول أرون، ترجمة: شيماء طه الريدي، مراجعة: إيمان عبدالغني نجم ، ط١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر/ ٢٠١٥.

*الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزَل، العلامة الفقيه المفسر ناصر مكارم الشيرازي، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت/ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

*بحار الأنوار، العلامة المجلسي (١١١٠هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت/ ١٤٠٤هـ.

*البحر المحيط، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

*البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، مطبعة السعادة، القاهرة (د.ت).

*البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، تح: محمد أبوالفضل إبراهيم، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت/ ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.

*بصائر الدرجات، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (٢٩٠هـ)، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت/ ٢٠١٠م.

*البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي (١٩٩٢م)، مطبعة العمال المركزية، بغداد- ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
*البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، تح: عبد السلام محمّد هارون، ط ٥، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة/ ١٩٨٥م.
*تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تح: محمد أبوالفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر/ ١٣٨٧ه- ١٩٦٧م.
*تاريخ القرآن، تيودور نولدكه، ترجمة: د. جورج تامر، تعديل: فريديريش شفالي، ط١، مؤسسة كونراد - أدناور، بيروت / ٢٠٠٤م.
*تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (٢٩٢هـ)، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية/ ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.
*التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تح: أحمد شوقي الأمين وأحمد حبيب قصير العاملي، المطبعة العلمية ومطبعة النعمان، النجف الأشرف/ ١٩٥٧م.
*التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٩٧٣م)، الدار التونسية للنشر، تونس - ١٩٨٤م.
*تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت/ ١٤٠١هـ.
*جذور تدوين القرآن الكريم، الشيخ محمد جبار منصور البهادلي، مجلة (صدى القرآن) العدد ١٣، السنة ٤، دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة/ ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.
*جمع القرآن الكريم حفظا وكتابةً، د. علي بن سليمان العبيد، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة (د.ت).
*الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت٨٧٥هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (د.ت).
*الحداثة والقرآن، سعيد ناشيد، ط٢، دار التنوير للطباعة والنشر - تونس/ ٢٠١٦م.
*الحفاظ على سلامة اللغة العربية، د. أحمد مطلوب (ت ٢٠١٨م)، مجلة الضاد، العدد٣.

*الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، د. محمد عبدالمنعم خفاجي، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت/ ١٩٨٠م.
*الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النجار (ت١٩٦٦م)، ط٢، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت/ ١٣٧٢هـ-١٩٥٢م.
*دراسات في فقه اللغة، د.صبحي الصالح، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت/ ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
*دراسات في الكافي للكليني، والصحيح للبخاري، هاشم معروف الحسني (منشور إلكترونيًا).
*دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية، ت.م. جُونستون، ترجمة: د. أحمد محمد الضُّبَيْب، ط٢، الدار العربية للموسوعات، بيروت/ ١٩٨٣م .
*دلالة الاكتفاء في الجملة القرآنية: دراسة نقدية للحذف والتقدير، د. علي عبدالفتاح، ط١، نشره مركز القرآن الكريم في ديوان الوقف الشيعي، بغداد/ ٢٠١٠.
*روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسيّ (ت ١٢٧٠ هـ)، تصحيح: محمّد حسين العربيّ، دار الفكر، بيروت/ ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
*زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين أبو عبدالله المشهور بابن القيم الجوزية (٧٥١هـ)، ضبط نصه: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت/ ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
*سر الفصاحة، الأمير أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلي (٤٦٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت/ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢.
*السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)، عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تح: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت/ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
*السيرة والتاريخ: عرض تحليلي لحياة وسيرة النبي الأعظم ﷺ، مؤسسة المعارف الإسلامية الثقافية (د.ت).
*سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، د. جمعة سيد يوسف، سلسلة عالم المعرفة - شركة مطابع المجموعة الدولية، الكويت/ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
*شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (٦٥٥هـ)، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢، دار إحياء الكتب العربية،

مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
*الشمائل المحمدية في التعامل مع الأسرى (أسرى بدرٍ نموذجًا)، د. إبراهيم بن محمد الحقيل (بحث قيِّمٌ منشورٌ في مجلةِ البيانِ إلكترونيًّا ٢٠١٦).
*صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القشيريّ النيسابوريّ (ت ٢٦١ هـ)، تحقيق : محمّد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).
*صراع اللغة العربية من أجل البقاء، كاظم محمد النقيب، مطبعة الطف، العراق، كربلاء (د.ت).
*الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيتمي، تح: عبدالرحمن بن عبدالله التركي وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت/ ١٩٩٧م.
*الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، تح: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت/ ١٩٦٨م.
*العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد/ ١٩٧٢م.
*العربية والتحديث: اتجاهات التأليف اللغوي في العراق، د. محمد عبدالمطَّلب البكَّاء، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد/ ١٩٩٩م.
*العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، تح: مفيد محمد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت/ ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.
*العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تح: د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، الجمهورية العراقية/ ١٩٨١م.
*عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن سيد الناس، اليعمري الربعي (ت٧٣٤ه)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت/ ١٤١٤ه – ١٩٩٣م.
*الفائق في غريب الحديث، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، تح: محمدعلي البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم، ط٢، عيسى البابي الحلبي وشركاه. (د.ت).
*فصول في فقه اللغة، د. رمضان عبدالتواب، ط٦، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة/ ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
*في نشأةِ اللغة من إشارةِ اليدِ إلى نطقِ الفم،

مايكل كوربالیس، ترجمة: محمود ماجد عمر، سلسلة عالم المعرفة – شركة مطابع المجموعة الدولية، الكويت/ ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .
*الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد (٢٨٥هـ)، مراجعة لجنة من المحققين، مكتبة المعارف، بيروت، ومكتبة النصر، الرياض/ ١٣٨٦هـ.
*كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت/ ١٩٨٩م.
*اللغة بين المعيارية والوصفية، عالَم الكتب، القاهرة/ ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
*مباحث في فقه اللغة العربية، د. أسعد محمدعلي النجار، مكتبة الرياحين – بابل – الحِلة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
*مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت٥٤٨هـ)، ط٢، دار الكتاب ودار الفكر، بيروت/ ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م.
*محاولة في أصلِ اللغات، جان جاك روسو، تعريب: محمد محجوب، تقديم عبدالسلام المسدي، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد/ ١٩٨٦م.
*المحبَّر، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي بالولاء، أبو جعفر البغدادي (ت٢٤٥هـ)، تح: د. إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت (د.ت).
*المدرسة القرآنية، السيد محمد باقر الصدر، ط١، مكتبة سلمان المحمدي، بغداد/ ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.
*المرسل – الرسول – الرسالة، السيد محمد باقر الصدر(ت ١٩٨٠م)، دار التعارف للمطبوعات، بيروت/ ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
*مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (٣٤٦هـ)، اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت/ ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م.
*المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تح: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبوالفضل ابراهيم، عيسى البابي الحلبي، القاهرة/ ١٩٥٨م.
*المشكلة اللغوية العربية، سمر رُوحي الفيصل، ط١، جروس برس، لبنان/ ١٩٩٢م.
*المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، د. عزالدين إسماعيل، الناشر: مكتبة غريب، القاهرة، (د.ت).
*معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد

الفراء (ت٢٠٧هـ)، تح: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، ط٢، عالم الكتب، بيروت/ ١٩٨١م.
*المعجم الكبير، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تح: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحِكَم، ط٢، الموصل/ ١٤٠٤هـ -١٩٨٣م.
*المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمّد فؤاد عبدالباقيّ، طهران/ ١٣٧٨هـ.
*المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ط٢، ساعدت جامعة بغداد على نشرِه/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
*مكاتيب الرسول ﷺ، الشيخ علي الأحمدي الميانجي، ط١، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع/ ١٩٩٨م.
*مناقب آل أبي طالب، أبو جعفر محمد بن علي بن شهرآشوب السروي المازندراني (٥٨٨هـ)، تح: يوسف البقاعي، ط٢، دار الأضواء، بيروت/ ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
*منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي، تح: السيد عبداللطيف الكوهكمري، قم/ ١٤٠٦هـ.
*من هم كتاب الوحي وكم عددهم؟ هديل البكري (بحثٌ منشورٌ إلكترونيًّا على موقع موضوع).
*المهاراتُ اللغويةُ وعروبةُ اللسان، د. فخرالدين قباوة، ط١، دار الفكر، دمشق/ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
*ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ط٢، دار الحديث، مطبعة اعتماد، قم/ ١٤٢٢هـ.
*الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (١٩٨١م)، ط٢، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت/ ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
*النبي محمد عليه السلام كان يقرأ ويكتب، وهو الذي كتب القرآن بنفسه، د. أحمد صبحي منصور، (بحث منشور على موقع أهل القرآن الإلكتروني بتاريخ ٦/ ٨/ ٢٠٠٦م).
*نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، د. حسين نصار، مكتبة الثقافة الدينية، منتدى سور الأزبكية، مصر (د.ت).
*النص القرآني وسلطة التراث: دراسة في كشف المعنى وتوجيهه عند المسلمين في عصر التأسيس، د. عادل عباس النصراوي، ط١، تموز- ديموزي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق/ ٢٠١٨م.

افتراء الأمية على النبيّ محمد ﷺ
كشف، وتحقيق في ضوء نشأة اللغة والقرآن الكريم
على البرنامج الافتراضي zoom

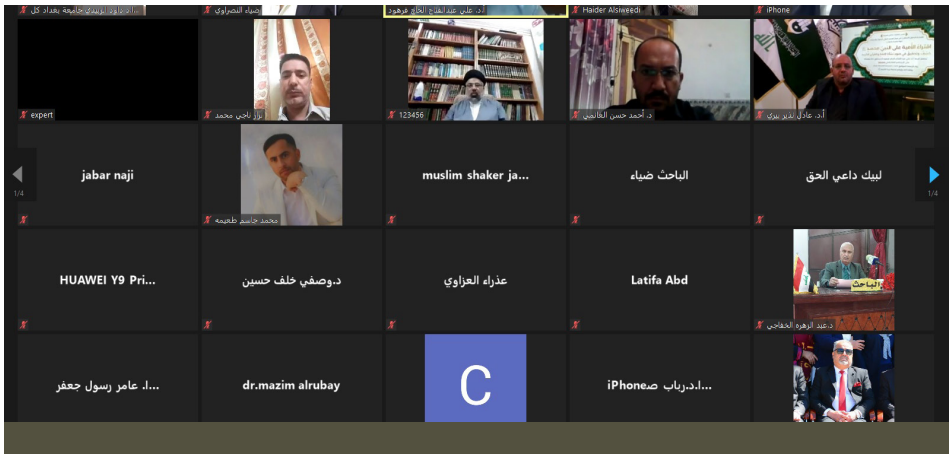
jabar naji
muslim shaker ja...
الباحث ضياء
لبيك داعي الحق
HUAWEI Y9 Pri...
د.وصفي خلف حسين
عذراء العزاوي
Latifa Abd
dr.mazim alrubay
iPhoneص...ا.د.رباب
...ا. عامر رسول جعفر

Dheyaa Thahab
...زينب فائق محمد الا
نجمة من التاريخ
...م.م. حنان رضا حمو
M M maha aljub...
iPhone MENTAL
د. وسن صاحب عيدان
...د.قاسم كتاب العيس
بوغزديس عبد الكريم
Galaxy A8 (2018...
...أ.م.د.زينب رضا حم
د. علي كريم حميدي
owner's iPhone
Ali
د.علياء نصرت
كريمة

افتراءُ الأمية على النبيِّ محمد ﷺ
كشف، وتحقيق في ضوء نشأة اللغة والقرآن الكريم
zoom

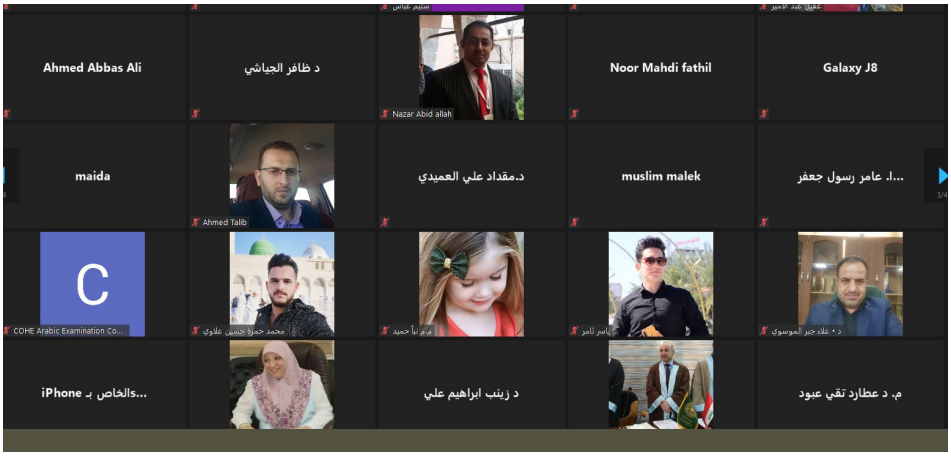
Ahmed Abbas Ali
د ظافر الجياشي
Nazar Abid allah
Noor Mahdi fathil
Galaxy J8
maida
Ahmed Talib
د.مقداد علي العميدي
muslim malek
...ا. عامر رسول جعفر
COHE Arabic Examination Co...
محمد حمزة حسين علوي
م. د عطارد تقي عبود
د زينب ابراهيم علي
...الخاص بـ iPhone

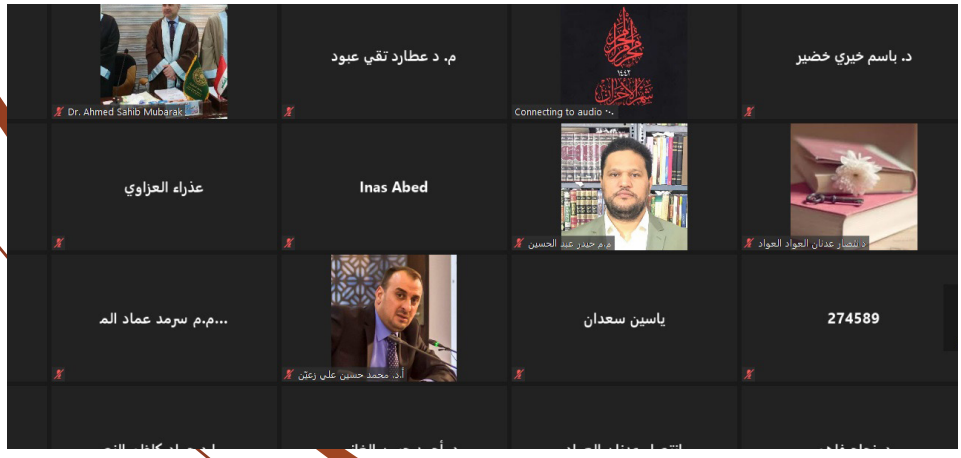
Dr. Ahmed Sahib Mubarak
م. د عطارد تقي عبود
Connecting to audio ...
د. باسم خيري خضير
عذراء العزاوي
Inas Abed
...م.م سرمد عماد الـ
أ.د. محمد حسين علي زعتر
ياسين سعدان
274589